الدكتور إحسان حقي

المسلمون أمام التحدي العالمي

الطبعة الاولى

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

الطبعة الرابعة

١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ شارع سوريا بناية صمدي و صالحة

هاتف : ٢٩٥٥٠١ ـ ٢٤١٦٩٢ ص.ب : ٧٤٦٠ برقيا : بيوشران

الدكتور احسان حقي

'S' ASSOC.

المسلمون

أمام التحدي العالمي

مؤسسة الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

عرف العالم، منذ الخليقة، مؤامرات كبيرة، ومؤامرات عديدة وكثيرة، وعرف مؤامرات على الأرواح ومؤامرات على الأموال ومؤامرات على الأعراض ومؤامرات على العروش ومؤامرات على البلاد ومؤامرات على المبادىء والعقائد وغير ذلك. وعرف مؤامرات يشترك بها أفراد ومؤامرات يشترك بها جماعات ومؤامرت يشترك بها أقوام في نطاق محدود من الأرض ولكنه لم يعرف، حتى اليوم، مؤامرة كالمؤامرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون في يومنا هذا ولا سمع بمثلها أبداً لا من حيث تشعبها وتغلغلها في كل الأوساط العالمية ولا من حيث دوامها واستمرارها وتصميمها ولا من حيث كثرة المشتركين فيها ومؤيديها ولا من حيث بعد أهدافها ومراميها ولا من حيث اشتمالهـــا وتعميمها على الإسلام والمسلمين جماعات وأفراداً وشعوباً وأقواماً. ولولا أن بناء الإسلام بناء قويم ودعائمه متينة وأسسه راسية فوق صخور لتضعضعت أركانه وتلاشى بنيانه

من أثر الضربات التي نزلت به وتنزل كل يوم بلا هوادة ولا رحمة، ولكنه بناء بناه الله أحسن الخالقين فأحكمه وأتقن صنعه ودعم أسسه وثبت أركانه فاستطاع أن يصمد أمام كل المؤامرات السابقة وأن يتحمل كل الضربات بشجاعة ورباطة جأش لا بل وأن يرد كيد المتآمرين في نحورهم ويدفعهم إلى جحورهم خائبين خاسرين يحرقون الأرم ويعضون على الأنامل من الخيبة والندم .

غير أن المؤامرة التي أعدها أعداء الإسلام ومـا زالوا يعدونها وينفذون فصولها تختلف عما أعدوه بالأمس كماً وكيفاً ونهجاً وتخطيطاً، فهي أشد هولاً وأبعد خطراً وأكثر شراسة وأفظع ضراوة وأعمق لدداً وأوسع من كل مؤامرة سبقتها أو ينتظر أن تليهـا ، فهي مؤامرة يصح أن نسميها : (المؤامرة الكبرى الجامعة) لأنها ، في واقع الأمر ، مجموعة مؤامرات في مؤامرة واحدة وذلك لأن كل مؤامرة من مؤامرات الأمس كان يتولى كبرها فريق من الناس أو قوم من الأقوام ضد فريق من المسلمين وتستهدف ناحية واحـدة من نواحي الإسلام أو جماعة معينة من جماعاته في بلد معين، في الشرق أو في الغرب.

وأما مؤامرة اليوم فقد أعدها العالم بأجمعه وهي تستهدف الإسلام والمسلمين أصلاً وفرعاً ، ديناً وكياناً ، تراثاً وتاريخاً، أينما وجـدوا على سطح هذه الكرة الأرضية وتستهدفهم

جماعات وأفراداً عقيدة ومبدأ وداراً ووطناً ورزقاً ومتاعاً ومالاً ونظاماً أو بمعنى آخر إنها تستهدف الإسلام مبدأ وعقيدة ونظاماً اجتماعياً وتستهدف المسلمين كياناً وأرضاً وثقافة وتراثاً أو بعبارة أفصح وأوضح تستهدف محو الإسلام والمسلمين أو محو الإسلام بالقضاء على المسلمين . ولن يكون القضاء على المسلمين قضاءً جسدياً ، لأن هذا غير مستطاع ، بل قضاءً عقدياً بصرفهم عنه إلى الإلحاد أو إلى دين آخر .

ولم يسبق أن استهدفت أية مؤامرة من المؤامرات التي حدثت فوق سطح هذه الأرض كل هذه الأمور مرة واحدة ولا سبق أن كانت أمة من الأمم هدفاً لمثل هذه المؤامرات المجتمعة في مؤامرة واحدة .

ومما يزيد في هذه المؤامرة خطورة كونها مؤامرة عالمية اشترك في تنظيمها وتدبيرها وتمويلها والاعداد لها والعمل في سبيلها وتوقيتها كل أعداء الإسلام في الشرق والغرب وكل الملحدين والضالين واللا أخلاقيين ووضعوا كل ثقلهم المادي والمعنوي والعلمي والأدبي وجميع إمكاناتهم بأنواعها للقضاء على الإسلام وعلى المسلمين . وإن ماحدث مؤخراً في باكستان وما يجري في الحبشة وفي قبرص وفي تشاد وفي نيجيريا وفي أندونيسيا وفي الفيليبين وفي الهند وفي البلاد الشيوعية كلها إنما هو جزء من هذا المخطط العالمي للقضاء على المسلمين .

فإذا لم يستيقظ المسلمون وينتبهوا إلى مايراد بهم ومايحاك

لهم في السر والعلن من مؤامرات ويعملوا للوقوف في وجه هذه السياسة العدوانية ودفع أذاها جرفهم تيارها وأفقدهم قاعدتهم الصلبة التي يرتكزون عليها ومادت بهم الأرض ولن يجدوا لأنفسهم بعد ذلك سنداً يستندون اليه أو ملجأ يلجأون اليه أو صديقاً يعتمدون عليه .

لقد رأيت من آثار هذه المؤامرة الشيء الكثير في كثير من بلدان العالم وأدركت بأن الأخطار المحدقة بنا أخطار عاتية لا يستهان بها فنبهت المسلمين اليها في مناسبات عديدة وأنذرتهم وحذرتهم ولكن صيحاتي تلاشت في خضم اللا ابالية المضطرب وفي ثنايا الغايات والأغراض وفي وديان الجهل والعمى المسيطران على العالم الإسلامي، كما تلاشت، من قبل، صيحات غيري من المنذرين إذ تصور الناس لهول ماذكرت أن ماأقوله أحلام نائم أو خيالات هائم أو أوهام حالم، وذلك لأن المسلمين لم يعودوا يعيشون بعقولهم بل أصبحوا يعيشون في أجواء محمومة وبيئة فاسدة تغذيها أفكار مسمومة فرضها عليهم عدوهم ليبلبلهم فأصبحوا لا يرون ولا يسمعون إلا ما يريدون لهم سماعه ولا يصغون إلا لأقوالهم. والعاقل منهم، الذي يدرك الحق على وجهه، يقول : مالي ولكل هذا ؟ فأنا واحد من ملايين المسلمين وللبيت رب يحميه . أو أنهم فهموا معنى الإتكال على أنه الاهمال فتركوا أمورهم وناموا عنها وأسلموا رعايتها إلى أعدائهم فأخذوا بزمامها وصرفوا

المسلمين في الطريق الذي يريدون حتى أصبح المسلم يرى رأي عدوه ويقول بقوله وينفذ أمره من حيث يدري أو لا يدري.

ولو رجع المسلمون إلى تاريخهم يقلبون صفحاته ويستذكرون مآسيه لوجدوا بأن سلسلة المؤامرات على الإسلام وعلى المسلمين لم تنقطع في يوم من الايام بل هي متصلة الحلقات محكمة الحبك تتغير ظواهرها وأسبابها ولا تتغير أهدافها ، وكلها ترمي إلى شيء واحد وهو القضاء على الإسلام بالقضاء على مبادئه ونظمه وبالقضاء على أهله بالابادة ، ما استطاعوا أو بالتشكيك والتضليل حتى يردوهم عن دينهم . وقد استمرت هذه المؤامرات عبر التاريخ بلا هوادة ولا انقطاع وتمثلت بأشكال مختلفة وقوالب متعددة وأشكال متنوعة فكانت تارة حروباً مسلحة وطوراً دسائس سياسية وحيناً فلسفة علمية وعقدية وأخرى مفاسد ومساوىء أخلاقية أو مادية أو غير ذلك مما نراه ونشاهده اليوم .

ولم يقف الإسلام ، فيما مضى ، مدافعاً عن عقائده فقط ولا استخذى المسلمون في الانتصار لدينهم ولكيانهم ولبلادهم بل كانوا في مد الإسلام الجارف كالبحر الطامي يتجاوزون كل مؤامرة تعترض سبيلهم فيغرقونها في خضم دينهم الزاخر، فبعد حروب الردة **فتح المسلمون سوريا والعراق ومصر** والشمال الإفريقي وجزءاً من إيران ، **وفي زمن الدولة الأموية** تقدم المسلمون حتى أبواب استانبول وتمكنوا من الشمال

الإفريقي كله وعلى السند وساروا حتى حدود الصين ، وبعد قيام الدولة العباسية استولوا على اسبانيا وعلى بلاد تركستان ، وبعد الحروب الصليبية ظهرت الدولة العثمانية بعظمتها وسلطانها الواسع وكانت أعظم امبراطورية عرفها التاريخ وحكمت أكبر جزء من العالم إما مباشرة أو بالتبعية على اعتبار أنهـا مركز الخلافة الإسلامية. واتفق أن وجد ، في وقت واحد ، ثلاث امبراطوريات إسلامية عظيمة كانت تحكم العالم القديم المعروف كله هي الامبراطورية العثمانية ، التي كانت سيطرتها المباشرة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي ومن حدود النمسا إلى وسط القارة الافريقية ويمتـد نفوذها بالتبعية على العالم الإسلامي كلـه باعتبارها صاحبة الخلافة ، والامبراطورية الثانية هي الامبراطورية المغولية التي كانت تسيطر على شبه القارة الهندية وماجاورها ، والامبراطورية الثالثة امبراطورية الشرق الأقصى وهي إن لم تكن ذات ادارة مركزية إلا أنها كانت تتألف من ممالك وإمارات إسلامية كثيرة قوية وأعني بذلك بلاد أندونيسيا وما يليها .

هذا بالإضافة إلى ممالك وامارات كثيرة منتشرة في كل بقاع الأرض . أو بمعنى آخر نستطيع أن نقول إن العالم كله كان مسلماً وكان المسيطر الوحيد على الأرض هو الإسلام .

فلما اطمأن المسلمون إلى هذه العظمة وظنوا أنها تدوم لهم من غير أن يعملوا لتدعيمها وتوطيد أركانها واستسلموا للراحة

والدعـــة ، استيقظ أعداؤهم وسلكوا النهج الذي سلكه المسلمون ، من قبل ، وأدى إلى انتصارهم ، فأخذوا ينتقصون المسلمين جزءاً بعد جزء من بلادهم حتى قضوا على الدولة العثمانية ذاتها جامعة شمل المسلمين ورافعة شأنهم فشتتوا شمل المسلمين وفرقوهم شيعاً وقبائل وأقواماً يضرب بعضهم وجوه البعض الآخر . ولكي يشلوا حركات هـــذه الأقوام فإنهم حجزوا أمام كل قوم عفريتاً في قمقم متى تحرك المسلمون أطلقوا عليهم عفريتهم ، فعفريت البلاد العربية إسرائيل، وعفريت إيران روسيا والهند، وعفريت تركيا روسيا وبلاد البلقان الشيوعية كلها واليونان، وعفريت أفغانستان الصين وروسيا والهنـــد، وعفريت باكستان الهند ، وجروح الاعتداء الهندوكي الغادر على هـــذه البلاد الإسلامية ما زالت لم تندمل ، وعفريت أندونيسيا الصين وعفريت جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الشيوعية .

لقد نظم أعـداء الاسلام مؤامرتهم على المسلمين تنظيماً محكماً وجندوا لها كل قواهم المادية والمعنوية والعلمية والفكرية واستخدموا كل أساليب الدعاية والاغراء وأشعلوا نيران الفتن في كل أطراف العالم ليشغلوا المسلمين مرة واحدة فلا يستطيع قطر أن يمد يد المعونة لقطر شقيق أو ينحاز إليه إذا وقع في بلاء بل ينشغل بنفسه ، وتمثلت هذه المؤامرة الكبرى بحملات فكرية وعقدية وعلمية تسندها ثورات واضطرابات وحروب

وانقلابات وكلها تهدف إلى شيء واحد وهو القضاء على الإسلام والمسلمين عقيدة وكياناً .

لم يكن أعداء الإسلام يعتقدون أنهم قادرون على هدم الكيان الاسلامي بين عشية وضحاها بل كانوا يعلمون عظم المهمة التي أخذوا على عاتقهم القيام بها وبعد الهدف الذي يرمون إليه ، وكانوا يدركون بأن البنيان الذي ثبت أمام ضربات العالم المتوالية نحو أربعة عشر قرناً لن يزول بضربة واحدة أو ضربات مهما كانت قوية ومحكمة ، ولكن عزاءهم هو أنهم استطاعوا على طول المدى أن يصدعوا هذا البنيان وأن يفتحوا فيه ثغرات وأن يفرقوا أهله ويشتتوا شملهم ويبعثروا قواهم ، ومتى تصدع البنيان سهل هدمه بالمثابرة والدأب وإن طال المدى. وعلى هذا الأساس العلمي والمنطقي وواقع المسلمين المتضعضع أوقدوا فتيل هذه المؤامرة في أطراف العالم الاسلامي وتقاسم الأعداء مهامهم فتولت الهندوكية في شبه القارة الهندية ، يسندها العالمين الشرقي والغربي بما فيه من شيوعية ورأسمالية ، القضاء على أكبر دولة إسلامية ظهرت بعد الدولة العثمانية في هذا القرن وأحيت آمال المسلمين . وقد استطاعت الهند بالاتفاق مع أعداء الاسلام ، شطر باكستان ، منذ ولادتها ، إلى شطرين شرقي وغربي ، وكان هؤلاء الأعداء يظنون بأن باكستان في حالتها هذه لن تستطيع أن تجابه الحياة وأنه لابد لها من أن تستسلم وتنضم إلى الهند لعدم توفر

أسباب الحياة فيها . فلما رأت الهند بأن باكستان قد تخطت كل الصعاب وأنها بذتها اقتصاداً وثقافة وإدارة وعلماً خلقت لها مشكلة بنغلاديش لكي تضعضعها وكان لها ماأرادت بمساعدة روسيا وأمريكا ووقوف الصين على الحياد ، وإن القضية الهندكية الإسلامية لم تنته بعد .

وتولى الحكام الملحدون صرف المسلمين عن دينهم تحت ستار العلم والتحرر من الخرافات ، وضاعفت الكنيسة جهدها لتنصير المسلمين في بلادهم أو قتلهم وإبادتهم كما حدث في الفيليبين وفي تشاد وفي الحبشة وفي كل البلاد الشيوعية . وقد يعجب المرء إذا علم أنه يوجد في إفريقيا وحدها مئة الف مبشر ومبشرة بالمسيحية بالإضافة إلى ما لهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك .

وعمد الأعداء في بعض البلاد الاسلامية إلى تخدير الشعوب بأنواع المخدرات إما بالثورات الداخلية والاضطرابات أو بالشعارات أو بالتهتك والخلاعة أو بالجهل والفقر والحاجة لكي ينصرف كل بلد إلى خاصة نفسه فلا يستطيع أن يفكر بغيره أو أن ينظر الى هذه المؤامرات إلا نظرة سطحية فلا يعبأ بها إما لأنه لايفهم مداها أو لأنه لا يقدر على دفعها .

لقد كانت المؤامرة على الإسلام مؤامرة ضخمة ومنظمة وهي تزداد كل يوم ضخامة وتنظيماً ولذا فقد رأينا اسرائيل تمد يد المساعدة للهنادكة لشطر باكستان بينما لم يستطع بلد

مسلم أن يساعد باكستان في شيء لابل لقد كانت بعض البلاد الإسلامية جسراً لطائرات الروس تنقل السلاح والعتاد للهنادكة لتدمير باكستان وأهلها . وإذا كانت أندونيسيا استطاعت أن تنقذ نفسها من قبضة الشيوعية فقد وقعت ، ويا للأسف ، في قبضه دعاة النصرانية فدفعت بلاءً ووقعت في بلاءٍ أعظم .

والخطة الهندوكية تقضي بإزالة باكستان وجعل المسلمين الموجودين ، في باكستان وفي الهند ، وهم نحو ١٧٠ مليون نسمة ، بين أحد اختيارين وكلاهما ذل وهوان وهما إما أن يرحلوا الى حيث يريدون ، وهذا أمر مستحيل تنفيذه عملياً إذ أن هجرة مثل هذا العدد تحدث انقلاباً في الأرض كلها ، واما الارتداد عن دينهم واعتناق الهندوكية . وحيث إن كلا الأمرين ضرب من المستحيل وليس من السهل على المسلم أن يرتد عن دينه الى دين لا يرضى به عاقل ، وحيث أن الهنادكة يعلمون هذا ولذا فإنهم يعدون العدة منذ اليوم ، أو بالأحرى منذ أن استقلوا ، لإبادة المسلمين بالقتل الافرادي والجماعي . وليس حزب جان سنك الإجرامي إلا الخطوة الأولى في سبيل تنفيذ هذا البرنامج ، يضاف الى ذلك تسليح الهنادكة سراً وعدم السماح للمسلمين بحمل أي نوع من أنواع السلاح .

هناك مؤامرات على المسلمين في كل مكان وجد فيه مسلم فمنها ما نعلم ومنها ما لا نعلم ولعل أكثر البلاد ظلماً للمسلمين

وأشدها غلظة عليهم وحنقاً على الكيد لهم ، بعد الهنادكة ، هم الشيوعيون إذ أنهم اعتــدوا على أرواحهم وطردوهم من ديارهم وهدموا مساجدهم وسلبوا أوقافهم ومنعوهم من أداء فرائضهم و كتبوا لهم كتباً زوروا فيها لهم دينهم وطبعوا لهم القرآن الكريم محرفــاً ليفسدوا عقيدتهم وحرفوا تاريخهم ونبذوهم من مجتمعهم وحرموا عليهم كسب عيشهم .

وكانت روسيا أول البلاد الشيوعية التي بدأت بمكافحـة الإسلام علانية والعمل على تكفير المسلمين بالترغيب والترهيب ثم تبعتها البلاد الشيوعية الأخرى .

واذا كانت الأقوام تمر بالمحن وتقاسي المآسي على اعتبار أن المحن والمآســي للأقوام كالأمراض والعلل للأفراد ، فـان الأقوام تستطيـع أن تتغلب على محنها ومآسيها إذا عالجتهـا بحكمة وسداد كما يعالج المريض جسمه ، وأما اذا لم تعالجها بحكمة وعلى يدي طبيب حاذق أو استسلت لمرضها ظناً منها ان ما هي فيه لا مخرج لها منه أو أن ما هي فيه هو الصحة بعينها فانها تعرض نفسها الى ما هو أسوأ .

فاذا نظرنا ، اليوم ، الى المسلمين نجدهم في حالة مؤلمـة سياسة واقتصاداً وعمراناً واجتماعاً وأخلاقاً وتفكيراً وأكثر ما في حالتهم ايلاماً هو انهم لايعيشون بعقولهم بل يعيشون بعواطفهم أو أنهم يعيشون بعقول أعدائهـــم فهم يأكلون ويشربون ويفكرون ويلبسون ويبنون منازلهـم ويمـارسون

أعمالهم كما يريد لهم أعداؤهم وأوحوا اليهم بتنفيذه، وبدهي ان العدو لا يهدي عدوه إلى سبيل الرشاد .

اننا نواجه اليوم ، أخطاراً كثيرة وأشدها علينا خطر زعزعة إيماننا بعقيدتنا وديننا وتراثنا وتاريخنا ، لأننا اذا خسرنا ايماننا خسرنا معه كل شيء بينما اذا سلم لنا ديننا وخسرنا كل شيء استطعنا أن نسترد كل ما خسرناه بفضل الايمان .

لقد أدرك أعداؤنا هذه الناحية فركزوا عليها في محاربتنا فبعد أن كانوا يحاربوننا لسلب أرض أو لكسب معركة أو لربح مال أخذوا اليوم يحاربوننا لسلب ايماننا فقط لأنهم اذا سلبونا ايماننا سلبونا كل شيء بعده أو هان عليهم أن يسلبوا كل شيء وهان علينا أن نتنازل عن كل شيء .

فعلينا ، اذن ، أن ندرك هذا الواقع المرير وان نعلم أننا أمام تحد عالمي وأن نعمل لدفع هذه المحنة قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه عمل ولا يفيد ندم .

وإذا كانت بعض البلاد الاسلامية ما زالت بعيدة عن المؤامرة العالمية فإن هناك إخواناً لنا في بلاد أخرى يقاسون أشد العذاب ويمتحنون في دينهم وفي عقيدتهم وسيوف الجور والظلم والاعتداء مسلطة فوق رؤوسهم وها نحن نصف بعض ما شاهدناه في بعض البلاد الشيوعية ليكون لنا عبرة وحافزاً لدفع البلاء قبل أن يحل ، فالعاقل هو الذي يتعظ بغيره ولا يجرب بنفسه .

والذي يجب أن نعرفه هو أن الصهيونية هي التي تخطط وهي التي تستعمل باقي العالم وسائل لتنفيذ مآربها ، فالعالم اليوم يعيش في علومه وفنونه وآدابه الاجتماعية ، أو قلة آدابه الاجتماعية ، وفي اقتصادياته وكل مقومات حياته مسيراً بأيدٍ صهيونية في نطاق برنامج صهيوني مدروس ومرسوم وليست فلسطين إلا نقطة انطلاق أو هي رأس القمقم الذي يريد هذا المارد أن ينفذ منه إلى باقي العالم ، فإذا كنا نريد السلامة علينا أن نشذب أطراف هذا المارد لنقضي على الرأس .



المسلمون
في
البلاد الشيوعية

بلغاريا

بعد الحرب العالمية الثانية استولت روسيا على بلاد أوربا الشرقية واستعمرتها ولم ينج من هـــذا الاستعمار الا البلاد اليونانيـــة التي دافع أهلها عنها يساعدهم الغربيون فطردوا الروس بقوة السلاح ، وكذلك البلاد النمسوية التي اعتبرت بلاداً حيادية وخرج منها المحتلون، سنة ١٩٥٥ ، بعد أن ذاق أهلها مر العذاب .

وهنا قد مضى على استيلاء الروس على هذه البلاد نحو ثلاثين عاماً وهم ما زالوا يستعمرونها على الرغم من أن أهلها قد أعربوا مراراً عن رغبتهم في الحرية وثاروا مرات في وجه الاستعمار الروسي ثورات مسلحة إلا أن الروس أخمدوا هذه الثورات بوحشية وفرضوا حكمهم على البـلاد بقوة الحـديد والنار .

وإذا كانت القضية السياسية لهذه البلاد قضية مؤلمـــة ومحزنة ولا سيما في هذا الوقت الذي ينادي فيه العالم بالحرية

وفي زمن تحرر فيه العبيد وهي قضية يجب أن تهم كل إنسان إلا أننا نريد أن نحصر بحثنا في رسالتنا هذه بأحوال إخواننا المسلمين الذين يعيشون في هـذه البلاد لأن حالتهم أشد إيلاماً وحزناً من حالة غيرهم من مواطنيهم غير المسلمين . فالمسلمون في البلاد الشيوعيـــة خسروا كل شي ، خسروا دنياهم وهم محاربون في دينهم ولولا بقية باقية من إيمان يعمر قلوبهم لما بقي للإسلام أثر في تلك البلاد .

لم يكن بالمستطاع قبل بضع سنوات زيارة البلادالشيوعية زيارة حرة بل كانت الحكومات تتولى هـــذا الأمر بواسطة شركاتها السياحية فتأخذ السائح من بلده وتنقله بالطائرة إلى البلدان المقصود زيارتها وتريه المدن والأماكن التي تريد له أن يراها ثم إنها تحمله بالطائرة وتعيده إلى بلده . فـلا تسمح له بالتجول في البلد الشيوعي ولا بمعاشرة الناس ولا برؤية مايريد أن يرى ولذا فإن الذهاب إلى البلاد الشيوعية لم يكن يغري أحداً . غير أن سوء الحالةالاقتصادية. التي نشأت عن تطبيق النظام الشيوعي . أجبر الحكومات الشيوعية على فتح أبواب بلادها لاستقبال السياح فيدخلون البلاد من حيثما شاؤوا و كيفما شاؤوا وبالطريقةالتي يريدونها لكي يأتوا معهم بالعملاتالصعبة أو القطــــع النادر ، ولم يبق بلد من البلاد الشيوعية لم يفتح أبوابه بحرية إلا البلاد الروسية وما يتبعها مباشرة من بـلاد البلطيق التي لم تعدمستعمرات بل أصبحت أجزاء ومناطق من

البلاد الروسية باستثناء فنلندة التي قاتلت الروس ودحرتهم فاحتفظت بكيان شبه مستقل .

وكانت آخر دولة فتحت أبواب بلادها للسياحة هي بولونيا وذلك في السنة الماضية .

بحثت كثيراً عن كتاب يصف حالة مسلمي أوربا الشرقية فلم أجد على الرغم من كثرة السياح المسلمين الذين يقصدون تلك البلاد كل سنة لقضاء فصل الصيف أو بعضه ، ولكنهم ويا للأسف ، لا يقصدونها لرؤية إخوان لهم واستطلاع أحوالهم بل يقصدونها لشم الهواء والتمتع بالملذات وكأن أمر إخوانهم لا يعنيهم . ولما كان أمر هؤلاء الاخوان يهمني فقد زرت . في صيف العام الماضي ، أكثر مدن أوربا الشرقية وقضيت متنقلاً بينها نحو شهر ونصف الشهر للإطلاع على حالة إخواني المسلمين فيها .

وعلى الرغم من أن معرفة الحقيقة كاملة بتفصيلاتها وفروعها ، أمر غير متيسر بسهولة في مثل هذه الزيارة الخاطفة التي مررت فيها بهذه البلاد ، لاسيما وأن المرء لا يقع ، بسهولة ، في البلاد الشيوعية ، على أناس يملكون الشجاعة والصراحة ليحدثوه بالحقائق ويفتحوا قلوبهم وصدورهم له لأن الشيوعي أو بالأحرى العائش في ظل النظام الشيوعي يخاف ظله ويحاسب نفسه حتى على أنفاسه فكيف على كلمة تخرج من فمه لا يعلم نتائجها ولا مدى انتشارها لا سيما وأن الناس ، في البلاد

الشيوعية ، يؤخذؤن بالشبهات ويحاسبون على أفكارهم ونياتهم ويعاقبون عليها .

وعلى الرغم من كل هذه العوائق فإني قد وجدت بعض المسلمين المتعطشين إلى قول الحقيقة فوثقوا بي ومحضوني إخلاصهم وأفضوا إليّ بمكنون صدورهم وإني قياماً بواجب علي نحو إخوان مظلومين معذبين مهانين مضطدين ، أنقل إلى اخواني المسلمين في كل العالم قصة هؤلاء المظلومين ليعلم الناس كم يقاسون في ظل النظام الشيوعي فعسى أن ينتصروا لهم .

ولابد لي قبل أن أسجل ما رأيت أو سمعت من أن أشير إلى حقيقة كثيراً ماتخدع البسطاء وذلك أن كثيراً من الناس الذين يزورون البلاد الشيوعية ، بصفتهم الخاصة ، أو بصفتهم الرسمية ، إن كانوا من رجال الحكومة ، وأكثرهم ، إذا لم نقل جلهم ، ممن لايهتمون بالدين ولا يعبأون بأهله ، يعودون إلى بلادهم ليقولوا بأنهم رأوا في البلاد الشيوعية مساجد ورأوا في المساجد مصلين . وهم ينسون حينما يقولون أنهم رأوا مساجد بأن وجود المساجد أمر طبيعي لأن البلاد كانت بلاداً إسلامية أو أنها بلاد حكمها المسلمون قروناً طويلة وكانوا فيها هم العنصر البارز ويعدون بالملايين ولا يزال يوجد في أوربا الشرقية حتى اليوم ما لا يقل عن ستة ملايين مسلم ، ولكن الذي يفوت هؤلاء المسلمين أو المسالمين هو أن يسألوا كم هدم الشيوعيون من مساجد ؟

وأما المصلون الذين يراهم الزائر الرسمي أو الحكومي فقد تحشرهم الحكومة حشراً ليراهم الزائر فيرجع الى بلده ويتحدث عنهم وقد لا يكونون كلهم من المسلمين بل من غير المسلمين ومن رجال المباحث أيضاً أو أنهم يكونون غرباء جاؤوا من بلاد أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن حـــكام الأتراك وأثرياؤهم كانوا يتبارون في تخليد أنفسهم ببناء المساجد ويوقفون الأوقاف الواسعة عليها ، فلم يكن الحاكم أو الثري يهتم بأن يبني داراً لنفسه أو يستملك الضياع والعقـــارات ليخلفها لأولاده من بعده كما يفعل حكام اليوم بل كان يهتم بأن يبني مسجداً أو تكية أو مدرسة أو مستشفى ويوقف عليه الأوقاف لينتفع به عامة المسلمين ولذا فإن الذي يسير في بلاد البلقان يجد من المساجد في المدن والقرى والأرياف أكثر ممـا يجد في البلاد العربية ذاتها .

وحاصل القول أن الذي لاشك فيه هو أن الشيوعية عدوة الاسلام رقم ١ وأن كل المظاهر التي يظهر بها الشيوعيون بمظهر الحياد إزاء الأديان إنما هي خداع ومكر لستر حقيقة أمرهم وعدائهم للإسلام كما سترون ذلك فيما سيأتي :

بــدء الرحلة

بدأت رحلتي بزيارة بلغاريا فلم أر طول الطريق من الحدود التركية إلى صوفيا ، مئذنة واحدة تشير إلى وجود مسجد ، وقد علمت بأن الأتراك خلفوا في بلغاريا مساجد كثيرة وأوقفوا عليها أوقافاً واسعة كما فعلوا في باقي البلدان البلقانيـــة التي حكموها . فلما استقلت البلاد عن العثمانيين سنة ١٩٠٨ ، هدم البلغاريون بعض المساجد وجاءت الشيوعية بعد ذلك فهدمت الباقي وما لم تهدمه الحكومة المحلية أو تهدمه الشيوعية تلاشى بسبب الاهمال وعدم العناية أو هو في طريق الزوال. حتى أن الذي يدخل البلاد البلغارية من طريق تركيا لا يجد من الآثار ما يدل على وجود المسلمين فيها على أنه كان يوجد فيها مسلمون . ولم يعد يوجد في صوفيا ذاتها على كثرة عدد سكانها وعلى ما كان لها من عظمة أيام العهد العثماني ، غير مسجد واحد قطعت منه حديقته وباحته وأصبح قائماً في شبه جزيرة في نصف الطريق .

حينما وصلت صوفيا ذهبت تواً لزيارة مسجدها ، من غير أن أعرج على فندق لأستريح قليلاً من سفر طويل مضى ، فلما وصلته رأيته كما وصفته آنفاً وعلمت أنه هو المسجد الوحيد

الذي بقي من عشرات المساجد التي كانت قائمة في العاصمة .
ولما أردت دخول المسجد من الباب الكبير الكائن وراء حاجز حديدي وجدت الحاجز الحديدي مغلقاً وتدل حالته وما عليه من غبار على أنه لم يفتح منــــذ سنين فصرت أتقدم وأتأخر وأذهب يميناً وشمالاً أبحث عن منفذ إلى داخل المسجد فلم أجد وبينا أنا في هــذه الحيرة رآني رجل كان واقفـاً أمام حائط المسجد وأحسب أنه كان مسلماً وأدرك أنني أريد دخول المسجد فأشار إليّ : أن اتبعني ، فتبعته فهـداني إلى باب صغير مغلق وقال لي : ادخل من هنا فطرقت الباب فلم يجبني أحد فدفعته فاندفـع ونزلت درجتين أو ثلاثاً عن سطح الطريق ودخلت ردهة صغيرة مظلمة ، رأيت في صدرها غرفة صغيرة مظلمة أيضاً وليس فيها نور ولا حياة فصحت . هل من أحد ؟ فإذا برجل يخرج من وراء حاجز خشبي أقيم في الغرفة ليفصلها الى جزئين ، ويتقدم مني سائلاً عمــا أريد فبادرته بلفظ السلام وكلمته بالتركية وعرفته بنفسي فرد السلام ورحب بي وأدخلني الغرفــة أنا ومن معي وأجلسنا على مقعد خشبي أمام طاولة قذرة عليها أشياء مبعثرة تدل على إهمال وعدم عناية . والغرفة بأثاثها وما فيها من أشياء مبعثرة وما هي عليه من قذارة تشبه غرفة من غرف بيوت القرى التي تستعمل لاستقبال الأضياف ولطهو الطعام وللنوم ولربط الحيوانات أحياناً أو بمعنى آخر إنها كل شيء في كل شيء .

سألت الرجل الذي كان أشبه بالمومياء منه بالانسان من سوء التغذية ومن الكيد والظلم ، عن هويتـه فقال : أنا المؤذن . فقلت ، ألا يوجد غيرك في هذا المسجد ؟ قال بلى . يوجد الإمام . قلت : وأين هو : قال خلف الحاجز الخشبي . وسمع الإمام السؤال عنه فأتى إلينا وسلم علينا ورحب بنا .

جلس الرجلان أمامنا وأخذنا نتجاذب معهما الأحاديث، والذلة والانكسار والفقر بادية عليهما . فسألتهما عن حـالة المسلمين فقالا: إنهم بخير. ولم أكن أتوقع منهما غير هذا الجواب لأنهما لايستطيعان أن يقولا غير ذلك. ثم إني سألتهما عن حالهما وعما يتقاضيان من راتب وكم عند كل منهما من أولاد فأخبراني بذلك ، فقدرت أن مايتقاضاه أحدهما لايعيل أسرته أكثر من بضعة أيام مع التقتير ، فسألتهما وهل هـذا الراتب الضئيل يكفيكما ؟ فقالا : كلا ، إنـه لا يكفي . قلت : وكيف تعيشان مع اسرتيكما إذن ؟ قالا : إننا نأخذ مساعدات من الأوقاف. قالا هذا حياءً لأني علمت بعد ذلك أنهما يستجديان رزقهما استجداءً لأن مايأخذانه من الأوقاف لايكفي أيضاً.
وسياسة التقتير على رجال الدين الإسلامي سياسة مقصودة في البلاد الشيوعية لكي تنقطع رغبة الناس بطلب العلم وشؤون الدين فتغلق المساجد وتهمل الشؤون الدينية بحجة أنه لايوجد من يقوم بها . وبعد حديث قصير شعرت أنهما لا يريدان أن يقولا لي الحقائق لأنهما يخافـان عقاب السلطات فاستأذنتهما

بالانصراف وطلبت اليهماأن أرى داخل المسجد فقاما وفتحاه لي ورأيتها فرصة مناسبة لاكرامهما فدفعت لهما مبلغاً حسناً إذ آلمني أن أرى رجال الدين في هذه الحالة المزرية .

خرجت من المسجد متألماً لما سمعت وما رأيت أو بالأحرى لما رأيت أكثر مما سمعت لأني لم أسمع شيئاً كثيراً بل استنتجت من القليل أشياء كثيرة وحاولت أن أتصل بالمفتي – والإفتاء في دول البلقان مقام رسمي نصت عليه معاهدات وقعت بين الدولة العثمانية وبين هذه الدول يوم انفصلت عن الدولة العثمانية، واعتبر مقام الافتاء في بلاد البلقان مثل مقام البطاركة في البلاد العثمانية بمعنى أن المفتي هو القيم على شؤون المسلمين في الأحوال الشخصية والأمور الدينية والحكومة مجبرة على تنفيذ أحكامه في هذا المجال .

أقول إني حاولت الاتصال بالمفتي فقيل لي إنه خارج صوفيا وأنه سيعود غداً ، وفي اليوم الثاني ذهبت اليه فقيل لي إنه لم يرجع ولن يرجع قبل يومين . ولست أدري هل ماقيل لي كان حقاً أو أن خبري وصل إليه بواسطة الحكومة فأمرته بالا يراني لكي لا أحرجه أو أنقل عن لسانه مالا يحبون أن يقال . إني لاأعرف واقع الحال وكل ما أعرفه هو أني حينما رأيت بأن تاريخ رجوعه غير مؤكد قررت ترك صوفيا .

غير أن عدم رؤيتي للمفتي لم تمنعني من أن أرى غيره ممن شرحوا لي حالة المسلمين شرحاً كافياً ومؤلماً وها إني أنقل

بعض ما سمعت : إنه لا يحق للمسلم البلغاري دخول المسجد حتى ولا للزيارة والمسلم الذي يطمع بوظيفة حكومية عليه ألا يذهب إلى المسجد ، والموظف اذا ذهب إلى المسجديطرد من وظيفته وطالب الجامعة إذا ذهب إلى المسجد يطرد من جامعته ولايقبل في غيرها والعامل الذي يدخل المسجد يطرد من عمله.

وتعمد الحكومة البلغارية ، اليوم ، إلى طريقة شيطانية لطمس أثر الوجود الإسلامي في بلغاريا ، فهي بعد أن منعت الناس من أداء فرائضهم الدينية ، حتى في الخفاء ، عمدت إلى إجبار المسلمين البلغاريين على تغيير أسمائهم الاسلامية أو العربية وتبديلها بأسماء مسيحية . وتجد الحكومة صعوبات كثيرة في قبول المسلمين لهذا الأمر لأن المسلمين يعلمون بأن تغيير الاسم هو الخطوة الأولى لتغيير الهوية . وهذا يدل بصراحة على أن الشيوعية لا تحارب الأديان كلها ، كما يتوهم الأغرار ، بل هي الإسلام وحده والا ماذا كان يضرها أن يكون هذا المواطن محمداً أو جورج أو موشي ما دام شيوعياً ؟ ! أو يكون مسلماً أو مسيحياً أو يهـــودياً ما دام بلغـاريا ؟ ! إن الذي يزعج الشيوعية هو الإسلام وحده ولذا فإن البلاد الشيوعية تعمل بكل الوسائل للقضاء عليه وعلى أهله .

وحُدِّثتُ عن رجل اسمه محمود حسن طلبت الحكومة إليه أن يغير اسمه لأن اسلامه بارز من اسمه ، لقاء إغراء مادي . فرفض الرجـــل بإباء على الرغم من حاجته وقال : إني لن

أبدل إسمي ولو قطعتم رأسي . ولم تستطع الحكومة أن تضره في شيء ، لانه كان عاملاً والعامل يكون عادة بعيداً عن رقابة الحكومة المباشرة وعن سلطتها ويكون تحت حماية النقابة والنقابة لا تستطيع أن تتظاهر بالتحيز لمسلم أو مسيحي ولا أن تهمل الدفاع عن حقوق عامل ظلم فما كان من الحكومة إلا أن وضعته تحت الرقابة ثم لفّق أعوانها ضده تهمة أخذته بها .

وحدث في إحدى المدارس أن جمع مدير المدرسة الطلاب الذين فازوا بامتحان الشهادة الاعدادية ووزع الشهادات على مستحقيها من المسيحيين ثم إنه اتجه إلى الطلاب المسلمين وكان عددهم مئة طالب وقال لهم : إنكم قد فزتم بالامتحان وحقت لكم الشهادة وها هي الشهادات أمامكم ولكن بقي عليكم شيء واحد لكي تحصلوا عليها وهو أن تغيروا أسماءكم فيها انتخبوا أسماء مسيحية لأعطيكم شهادات تحمل هذه الأسماء الجديدة . فما كان من الجميع إلا أن رفضوا هذه المساومة الدنيئة بكل إباء وشمم وقال أحدهم ، وكان فتى شجاعاً واسمه صالح ، مخاطباً المدير : احتفظوا بهذه الشهادات وأضيفوها إلى أوراق المراحيض لتمسحوا بها أقفيتكم فإننا لسنا بحاجة إليها إذا كان الحصول عليها لا يتم إلا بهدر كرامتنا .

وهكذا فقد حرم هؤلاء الفتيان من حق اكتسبوه بجدهم وجهدهم لأنهم أبوا أن يغيروا أسماءهم ليزيلوا عن أنفسهم الصفة

الاسلامية . وإذا كانت الحكومة تضن على طلاب بشهادات استحقوها بعلمهم وعملهم لأنهم مسلمون فإن هناك كثيراً من يحرمون من دخول المدارس لأنهم مسلمون .

وتخلق الجامعات العراقيل المتنوعة في وجـــه الطلاب المسلمين لكي تحول دونهم ودون دخول الجامعة حتى ولو كانوا يتمتعون بكل المؤهلات وامتازوا على غـــيرهم من الطلاب البلغاريين من يهود ومسيحيين . ولذافلا يوجد ، حتى اليوم ، في جامعة صوفيا ، غير عشرة من المسلمين بينما تضم الجامعـة بضعة آلاف من الطلاب ، ولم يسمح لهؤلاء العشرة بالانتساب إلى الجامعة إلا بالوسائط ولذر الرماد في العيون .

إن المسلمين مظلومون في ظل النظام الشيوعي ظلمـــاً لا حدود له ، فهم محاربون في دينهم وفي لقمـة عيشهم وفي حياتهم السياسية وفي حياتهم الاجتماعية وفي كل شيء ، ولولا بقية باقية من خوف من العالم المتمدين لما تأخر الشيوعيون عن سوق المسلمين كالأغنام إلى المسلخ لذبحهـم . وليس المسلمون أحراراً في حياتهم الخاصة ولا العامة ولا في عقيدتهم ولا في عباداتهم إنهم ليسوا مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة بل هم ، في نظر الشيوعيين ، أعـداء للنظام ويعاملون على هـذا الأساس ، فلا يوجد لهم وزير في الحكومة ولا نائب يمثلهم في مجلس الشعب على الرغم من أن الوزراء والنواب لا يزيدون عن دمى في النظام الشيوعي .

وحيث أن المسلمين يعلمون نيات الشيوعيين نحوهم فانهم لا يخضعون للضغط ولا للارهـاب بل كلما اشتدت الحكومة وضغطت عليهم تشددوا هم بالحفاظ على دينهم وعلى تقاليدهم. فهم ما زالوا يسمون أنفسهم أتراكاً ولا يرضون بأن يقال لهم: بلغار، بل البلغاري، في عرفهم، معناه البلغاري المسيحي وأما البلغاري المسلم فهو تركي. فإذا سأل المرء مسلماً بلغارياً عن جنسيته يقول له: أنا تركي، فكأن التركية التي تمثل الاسلام هي دينهم وهي جنسيتهم. ومبالغة من البلغاريين المسلمين في التمسك بدينهم أو مبالغة منهم في الابتعاد عن غير المسلم فانهم لا يرضون أن يتزوجوا من البلغاريات المسيحيات، على الرغم من أن هـذا جائز شرعاً، وإذا حدث أن تزوج مسلم من مسيحية حلت كارثة بالأسرة كلها، وأما زواج البنت البلغارية المسلمة من البلغاري المسيحي فهـذا ممـا لا يخطر في بالهم قط.

فقد حدث أن تزوح مسلم من بلغارية مسيحية فطرده أهله من الدار وقاطعوه. وضاقت الأرض بشخص مسلم ولم يجد عملاً فاضطر إلى تغيير اسمه فتبرأ منه كل أهله حتى أمه الارملة لأنهم يعدون تغيير الاسم بمثابة الارتداد.

بيد أن الشيوعيين لا يتراجعون أمام تصلب المسلمين بل هم جادون في تنصيرهم، وتمهيداً لهـذه الخطوة فقد أخذت الحكومة تجبر المسلمين على تسمية أولادهم، يوم ولادتهم،

باسماء مسيحية حتى ينشأ الولد وهو لايعرف من الاسلام شيئاً ولا يجد مايفرقه عن غيره من أولاد المسيحيين فاسمه كاسمائهم وفعله كفعلهم ودين الجميع الشيوعية. ولما كان الآباء لا يستطيعون رد طلب الحكومة لأنها لاتعطي لأولادهم هويات إذا لم تكن لهم اسماء ومن لم تكن له هوية لا يستطيع أن يدخل مدرسة أو يعمل عملاً في مستقبل حياته ،ولذا فإن أكثر الآباء أخذوا ينزلون عند الأمر الواقع مكرهين ويسمون أولادهم باسماء مسيحيــــة ولكن بعض الآباء تنازلوا عن أبنائهم وتركوهم للحكومـة ولم يرضوا بأن يضموهم إلى أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى أولاد عليهم صفة المسيحية أو ظاهرها .

وظاهر أن عمل الآباء هـذا ، على ما فيه من مرارة على أكبادهم ، هـو دليل على تمسك المسلمين ، في بلغاريا ، بهذه المظاهر التي ليست من الدين في شيء ولكنهم يخشون بأن تؤدي بالطفل إلى الابتعاد عن الدين . وقد يظن من لايعرف كيد الشيوعيين أن عمل الآباء هذا إنما هو مغالاة في التطرف إذ كان بامكانهم أن يحتفظوا باولادهم مسلمين وأن يربوهم تربية إسلامية على الرغم من اسمائهم المسيحية ، ولكن الحقيقة هي غير ذلك وأن الشيوعيين إنما جعلوا تبديل الاسم أول خطوة يخطونها بالطفل نحو الإلحاد وهم أقـدر على بلوغ مرادهم من الآباء لأنهم هم الذين يعلمون الطفل وهو طفل ويعلمونه وهو فتى ويتلقفونه وهو شاب في المدارس العليا أو الجامعات أو

المؤسسات أو المصانع وعندهم من اسباب الاغراء والترغيب والترهيب مالا يوجد عند الآباء . فترك الطفل ينشأ على المسيحية او الالحاد وهو لايعرف والديه ولا يعرفه والداه أهون على قلوب بعض الآباء من أن ينشأ مسيحياً أو ملحداً وهو في حجرهم أو ينتسب إليهم . وهذه إحدى فواجع الشيوعية .

وإمعاناً في النكاية بالمسلمين فقد أغلقت الحكومة البلغارية مدارس مهنية كانت أوجدتها لتعليم النساء البلغاريات، مسلمات ومسيحيات ، مهناً يكتسبن بها عيشهن في الظاهر وعلى أمل أن تكون وسيلة لنشر الالحاد بين المسلمات في حقيقة الأمر فلما لم تنجح هذه المدارس في مهمتها بل كانت المسلمات تقابلن الدعاية الإلحادية بصدود ، لم تر الحكومة مبرراً لوجود هذه المدارس فأغلقتها .

وكانت الجامعات البلغارية تقبل ، فيما مضى ، الطلاب الذين هم من اهل البلاد النائية ويأتون على حسابهم الخاص من غير أن يكونوا مرسلين من قبل حكوماتهم فكان كثير من الطلاب الأتراك يلتحقون بالجامعات البلغارية فلما رأت الحكومة بأن الطلاب المسلمين الذين يأتون من خارج بلغاريا يؤثرون في الطلاب المسلمين البلغاريين ، أدخلت في السنة الماضية ، بعض التعديلات على هذا النظام استثنت بموجبها الأتراك والمسلمين عامة .

ومن الجدير بالذكر هو أن بلغاريا لا تقبل طالباً أجنبياً ،

أي غير بلغاري ، في جامعاتها إلا الذين يأتون إليها بعثات ترسلهم حكوماتهم الشيوعية وتثق بإخلاصهم العقيدي . فالبلاد الشيوعية النامية تنتخب فريقاً من طلابها وترسلهم إلى جامعات بلغاريا ليزدادوا ثقافة عقدية وليرجعوا إلى بلادهم مشبعين بروح الشيوعية . ولكن هذه القاعدة لاتنطبق على السوريين إذ هناك اتفاقية بين الحكومتين السورية والبلغارية تقضي على بلغاريا بأن تقبل في جامعاتها كل سوري يأتيها سواء أجاء موفداً من قبل حكومته ام جاءها من تلقاء نفسه وعلى نفقته ، ووجود هؤلاء الطلاب الأحرار الذين كثيراً ما يكونون غير شيوعيين يزعج الحكومة البلغارية لأن منهم متعصبين لدينهم ولا يرضون عنه بديلا ولكن الحكومة تصبر عليهم على مضض أو تطردهم إذا خشيت شغبهم .

والبلاد الشيوعية كلها وعلى رأسها روسيا تعمل جاهدة في محاربة الإسلام وقتل الروح الاسلامى بالترغيب والترهيب والقول والعمل . وإن مايجري في روسيا او ماتبتدعه روسيا من اساليب لمحاربة المسلمين يطبق في باقي البلاد الشيوعية التي هي اشبه بمستعمرات روسية ولا سيما بلغاريا التي اتخذتها روسيا كلب حراسة للمبادىء الشيوعية ومخلب هر لها تسابقها السير إلى الإلحاد وإلى اضطهاد الإسلام والمسلمين . لا بل فإن اضطهاد المسلمين والقضاء عليهم فكراً وعقيدة هو من أهم ما يتجه إليه الشيوعيون لأنهم يعلمون بأنه لا يمكن نشر

الشيوعية في بلد اهله مسلمون حقاً وإنما تنشر الشيوعية في بلد فقد اهله الروح الإسلامي وانعدم الوعي فيه ولذا فإن روسيا تبذل جهوداً كبيرة لنشر الإلحـــاد على اعتبار انه الخطوة الرئيسية للقضاء على الإسلام . وعلى سبيل المثال ننقل إلى قرائنا ماسمعناه بهذا الصدد. فقد ذكرت إذاعة كولونيا باللغة العربية كلمة في اذاعة لها في شهرحزيران سنة ١٩٧٠ علىلسان رئيس جمهورية ازبكستان، قالها امام المؤتمر الرابـعوالعشرين للحزب الشيوعي المنعقد في شهر آذار ١٩٧١ ، وهو يتحدث عن منجزات الحزب الشيوعي في بلاده ما يلي: إن الشيوعيين أنشأوا أربع مئة مدرسة واثنتي عشرة جامعة لتعليم الالحاد ، وأنه ألقى في ازبكستان وحدها خلال السنة الماضية ١٢٠٠ محاضرة إلحادية .

ويقول رئيس الجمهورية المذكور : إن الاسلام مـا زال يقف سداً منيعاً في وجه الشيوعية .

فـكل هذه المدارس وهذهالجامعات وهذه المحاضرات هي، إذن، لمحاربة الاسلام الذي يقف سداً في وجـه الشيوعية . وبعد هذا كله يدعي الشيوعيون أن الحرية الدينية موجودة في بلادهم . ولست أفهم كيف تكون هناك حرية في الوقت الذي تقفل فيه المساجد وتهدم وتضبط الأوقاف ويمنع المسلمون من أداء واجباتهم الدينية وتبنى المـدارس والجامعات لنشر ومحاربة الإسلام ؟ ! .

إن الحملة على الاسلام حملة قوية لا بل أستطيع أن أقول إن هدف الشيوعية الرئيسي هو هـــدم الاسلام ولذا فإن الشيوعيين يحاربون في كل مجال وبكل وسيلة لبلوغ هذا الهدف.

إن مجرد الدخول إلى المسجد محظور على المسلم في بلغاريا، والحكومة تراقب المساجد لترى الداخلين اليها وتتخذ عقوبات رادعة بحق من يتحدى أوامر الحكومة ويدخل المسجد فإن كان طالباً في جامعة طرد من جامعته أو موظفاً في الحكومة طرد من وظيفته أو عاملاً شددت عليه الخناق ، ولـذا فإن المسلمين يبتعدون حتى عن المساجد ولا يرتادها إلا الغرباء. وما ينطبق على الطالب المسلم البلغاري ينطبق أيضاً على الطالب المسلم غير البلغاري إلى حد بعيد، فالحكومة البلغارية لا تنظر بعين الارتياح إلى الطالب المسلم ، غير البلغاري، الذي يتظاهر بتمسكه بدينه ولا تطمئن إليه ، ولذا فإن الطلاب المسلمين غير البلغاريين الذين لا يريدون أن يصطدموا بإدارة الجامعة يصلون سراً في منازلهم من غير أن يراهم أحـد لا من أهل المنزل ولا من رفاقهم .

وقد علمت من بعض طلاب جامعة صوفيا أن السيد سهيل الأتاسي طرد من جامعة صوفيا ، حيث كان يدرس الطب ، لأنه لم يكن يكتم إسلامه وهو الآن يدرس الطب في جامعة أنقرة. وطرد أيضاً من جامعة صوفيا طالب آخر وهو السيد ياسر غلاونجي لتظاهره باسلامـه . والتهم التي وجهتها إليهما

الجامعة هي أنهما كانا يدافعان عن دينهما ويردان عنه التهم ويؤديان واجباتهما الدينية .

هذا وإن خطبة الجمعة تقرأ بالعربية ولا يسمح بقراءتها بأية لغة سواها يفهمها المصلون مثل التركية أو البلغارية لأن القصد هو إبعاد الناس عن فهم دينهم وعدم فهمهم لما يقوله الخطيب . وعدم استطاعتهم قراءة القرآن الكريم يجعلهم يؤدون صلاتهم حركات من غير فهم . فهم لا يقرأون القرآن ولا يفهمون الخطبة فما هذه الصلاة ؟ !

وتبالغ الحكومة البلغارية في محاربة الإسلام إذ أنها تمنع دخول الكتب الاسلامية إلى بلادها كما تمنع إدخال القرآن الكريم أيضاً . وحدث أن إمام أحد المساجد أدخل نسخة من القرآن الكريم فأخذ وسجن وعذب ثم أخرج من السجن وأمر بإقامة جبرية وأصبح موضع شبهة ومظنة عند الحكام .

وتقيم الحكومة البلغارية أيام العطلة المدرسية الصيفية مخيمات تجمع فيها الطلاب لتلقي عليهم محاضرات في تمكين الشيوعية والإلحاد من نفوسهم وتوجه عناية خاصة إلى الطلاب المسلمين .

إن ما رأيته في صوفيا وما سمعته ، مما ذكرته ، كان شيئاً كثيراً من حيث نتائجه السيئة ولكنه هو القليل القليل مما يقاسي هؤلاء الاخوان في أرض الذل والعبودية . بيد أني لم لم أكتف بما رأيت وما سمعت في صوفيا بل ذهبت إلى الجنوب

الغربي من البلاد حيث يوجد عدد كبير من المسلمين فرأيتهم كلهم في حالة يرثى لهـــا من الفقر والذل ورأيت ما بقي من المساجد آخذ بالانهيار وهي تكاد تكون خالية إلا من فريق من الشيوخ الذين لا يخافون الحكومة ولا تخافهم الحكومة ولكنها لا تزال تصفهم بالرجعية والجمود . وقد سألني هؤلاء الاخوان أن أشرح حالتهم لمسلمي العالم لينقذوهم مما فيه لأنهم مهددون بالفناء . وإني إذ أعرض حـال هؤلاء المظلومين على العـــالم الاسلامي لا أفعل على امل ان يهب هؤلاء لإنقـاذ أولئك بل أفعل لكي تكون هذه المآسي عبرة لهم حتى لا يقعوا في الشراك الشيوعية .

وإذا كانت بعض البلاد الشيوعية في البلقان تعرض المساجد على السياح كآثار قديمة فإن بلغاريا لا تفعل هـذا بل تفضل إهمـــال المساجد لكي تندثر ولكي ينسى الناس أن في البلاد مساجد وفيها مسلمون .

وبعد أن تنقلت في الجنوب الغربي اتجهت إلى الشاطىء البلغاري على البحر الأسود فوجدت في بعض القرى التي مررت بها ما زالت مآذنها ظاهرة وسليمة ولكن المساجد ذاتها مهملة وآخذة بالانهيار .

وفي مدينة فارنا (١) السياحية بضعة مساجد عمل البلغاريون

---

(١) Varna

على هدمها أو إخفائها عن الأنظار بأبنية عالية أقاموها أمامها تمهيداً لهدمها . فقد سمعت من بعض الناس من أهل فارنا انه كان يوجـــد في بلدهم مساجد ولكنهم لم يعودوا يرونهـا . وسألت الدليل الذي كان يرافقني ، والذي قال لي إنه يعلم بوجود بضعة مساجد في المدينة ، إنه يريني احدها فأخذني إلى كنيسة وهو يظنها مسجداً ولعلها كانت من قبل مسجداً أهدموه وبنوا على أنقاضه كنيسة ، والشيوعيون قادرون على فعل كل شيء لأن احداً لا يستطيع أن يقول شيئاً او أن يعترض

هذه صورة خاطفة التقطتها عن حالة المسلمين في بلغاريا، خلال رحلتي فيها ، وهي صورة محزنة مؤلمـة ومخيفة معاً ، فقد رأيت المسلمين أشد ذلة واكثر خوفاً على انفسهم وعلى دينهم من غيرهم من المواطنين لأن الذي ذاقوه ويذوقونه من ظلم وإرهاق وإرهاب لم يذقه المواطنون الآخرون ومع ذلك فهم متمسكون بدينهم صابرون على أذاهم محتسبون أجرهم عند ربهم ،ورأيت بعضهم يهتم بالشؤون الاسلامية الخارجية ويسألني عن حالة المسلمين وعما جرى بقضية فلسطين .

لقد رأيت شباباً وشابات طلاب جامعات أو عاملين في مختلف حقول الحياة ورأيتهم مليئين بالايمان فخورين بدينهم ولكنهم مع الأسف لا يمارسون فروضهم الدينية لأنهم يجهلون القرآن ولا يدرون كيف يصلون ولكنهم يصومون ٠ ويعـد شهر رمضان المظهر الوحيد من مظاهر الشعائر الدينيـة التي

ما زالت تمارس في بعض البلاد الشيوعية على غير علم من السلطات الشيوعية .

وقد سألت فتاة ، تعمل في محطة بيع البنزين ، وقد رأيتها متحمسة لدينها أشد الحماسة فيما إذا كانت تصلي فقالت : إني لا أعرف الصلاة ولا ما أقرأ في الصلاة ولكن أصوم رمضان سراً أنا وكل أهلي .

ومن المؤسف المؤلم أن المسلمين في البلاد الشيوعية لايجدون من يعلمهم أمور دينهم ويثقفهم ثقافة دينية إسلامية لأن الحكومات الشيوعية لاتسمح بذلك ، ولذا فلا يستبعد أن يأتي يوم ، لا يجد المرء فيه مسلماً في البلاد الشيوعية إذا ظل المسلمون في غفلتهم هذه : وإذا وجد فإنما يكون مسلماً بالاسم وهو أخطر على الاسلام والمسلمين من الملحدين . ولكن أملنا كبير بنهضة إسلامية عظيمة ينتصر فيها الاسلام والمسلمون على الكون لأنها إرادة الله ولا راد لإرادته .



رومانيا

بعد أن رأينا بلغاريا وتجولنا فيها ورأينا شقاء مسلميها دخلنا رومانيا وما كدنا نجتاز حدودها حتى رأينا المآذن صاعدة في السماء في كل ناحية من نواحيها. ففي بلدة مانغاليا[1] الواقعة على البحر الأسود ، بالقرب من الحدود البلغارية ـ الرومانية ، رأيت مسجداً ـ ومما جلب نظري في بلاد البلقان كلها أن المقابر تكون في ساحات المساجد الخارجية ولا سيما في القرى أو يكون جانب من ساحة المسجد مفرز ليكون مقبرة ، وقد تكون هذه المقبرة لعلية القوم ـ ورأيت أكثر القبور الموجودة في ساحة هذا المسجد قد دثرت وشواهدها قد بعثرت وكل هذه الشواهد منقوشة بالحرف العربي باللغة العربية أو التركية بالاضافة إلى الآيات القرآنية . ورأيت المسجد مغلقاً ويبدو أنه لم يفتح منذ زمن بعيد ورأيت السياح يدخلون يتفرجون عليه من خلال زجاج نوافذه المكسرة .

---

(١) Mangalia .

ورأيت على الرصيف أمام المسجد رجلاً وامرأة فكلمتهما وعلمت منهما أنهما مسلمان فسألتهما فيما إذا كان يوجد في هذا البلد الصغير غير هذا المسجد فأجابا بالإيجاب وقالا : إنه يوجد بضعة مساجد إلا أنها مهجورة وهي آخذة بالاندثار فسألتهما عن عدد المسلمين في هذه المدينة فقالا : خمسة آلاف نسمة وكلهم في حالة سيئة . وعلى الرغم من أني لم أستطع أن أمحص صدق هـذا العدد غير أني اعتقد أن فيه مبالغة بالنسبة إلى صغر هذه المدينة .

ومن منغاليا ذهبنا إلى كونستنزا ، البلد الذي يعتز بـه الرومانيون ويدر عليهم خيرات حسان وملايين من الدولارات سنوياً بفضل السياحة . ويكاد هـذا البلد يكون إسلامياً إذ يوجد فيه نحو عشرة آلاف مسلم ولذا فإن مفتي رومانيا يقيم فيه وليس في العاصمة . ومسلموا رومانيا متمسكون بدينهم ويعطفون على المسلمين من أي بلد كانوا . فقد دخلنا مطعمـاً لنأكل ولم نجد أحداً من موظفيه نتفاهم معه باللغات التي نعرفها فسألت : هـــل من يعرف اللغة التركية ؟ والتركية هي لغة المسلمين في كل بلاد البلقان وهم مازالوا يحافظون عليها ويسمون أنفسهم أتراكاً فكل مسلم هو تركي وكل من يتكلم التركية فهو مسلم حتماً . فقالت لي رئيسة المطعم : أنا اعرف التركيــة . قلت : أنت ، إذن ، مسلمة . قالت نعم واسمي صبيحــة . وأخذت تؤانسنا حينما علمت بأننا مسلمون ثم سألتنا عما رأينا في كونستنزا وهل زرنا احداً من المسلمين . فقلت لها : إننا

لانعرف أحداً نزوره ولكن يسرنا أن نرى بعض المسلمين في منازلهم . فقالت : إني أستطيع أن أرافقكم بعد أن أنتهي من عملي ، لأريكم مالم تروا من معالم المدينـة ونزور بعض منازل المسلمين وآخذكم إلى داري أعرفكم إلى زوجي وأريكم أولادي. فتواعدنا على ذلك في ساعة بعد الظهر ولكن الموظفة التي كان من المفروض أن تخلفها في العمل ، بعد الظهر ، ذاك اليوم ، لم تأت فحرمنا من رفقتها .

وفي كونستنزا أربعة مساجد أشهرها وأكبرها مسجد الجمهورية بناه السلطان محمود الأول العثماني ، سنة ١٧٣٠ ، أي سنة توليه العرش ثم انه احترق وجدد بناؤه سنة ١٩١٠ وكان اسمه مسجد المحمودية فسماه الشيوعيون مسجد الجمهورية . وأما المساجد الثلاثة الأخرى فإنها مغلقة ولم أر غير واحد منها من الخارج ولم أهتد إلى مكان المسجدين الآخرين .

ومسجد الجمهورية هـذا أحد الآثار التاريخية المعروضة لزيارة السياح وتقام فيه صلاة الجمعة .

وزرت مفتي رومانيا واسمه يعقوب محمد أفندى وهـو رجل لطيف ومهذب ويتكلم التركية مثل كل المسلمين وقد أهديته نسخة من القرآن الكريم ونسخة من كتاب (مسلم الغد) فأخذ القرآن الكريم وقبله ووضعه على رأسه وشكرني على هذه الهدية الثمينة ، لأن إدخال القرآن ممنوع إلى هـذه البلاد الشيوعية . ثم أخذ كتابي «مسلم الغد » وقال لي : إني

لاأعرف العربية ولكني سأحتفظ به بكل اعتزاز ذكرى لهذا الاجتماع فنحن لا نرى أحداً من المسلمين يزورنا .

فسألته إذا كان زار البلاد العربية فقال : نعم ، زرت دمشق ومررت ببيروت وأنا الآن مدعو لحضور مؤتمر إسلامي في الرباط. قلت : عرج ، إذن، علينا فإننا سوف نرحب بك وهناك كثير من الناس الذين يسرهم أن يتعرفوا اليك ليسمعوا منك شيئاً عن مسلمي رومانيا . فقال : إن هذا غير ممكن لأن الحكومة تعطني تذكرة سفر بالطائرة إلى بلد المؤتمر ومنها إلى بلدي ولا أستطيع أن أتوقف في أي بلد سواهما . فتألمت لحاله ولما تعانيه الشعوب التي تعيش في ظل النظم الشيوعية من إرهاق وإذلال وضغط وظلم .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في كل بلاد البلقان لا يثقون برجال الدين من مفتين وأئمة ولا يأمنونهم لأنهم يعتبرونهم من الموالين للسلطة ، والسلطة عدوة الشعب المسلم ، ويستدلون على موالاتهم للسلطة بالرواتب الضخمة التي يتقاضونها، إذ بينما أكبر راتب في الدولة هو ٣٠٠٠ لي" ، يتقاضى المفتي ٧٥٠٠ لي" ،ويتراوح راتب الإمام في رومانيا، كما قيل لي ، بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ لي" ، تدفع الحكومة نصف الراتب فقط وتدفع الأوقاف النصف الثاني . والأئمة ورجال الدين كلهم تابعون للمفتي . ومن هذا يبدو بأن رجال الدين المسلين في رومانيا أحسن حالاً من زملائهم في بلغاريا إذا كان ماقيل لي صدقاً .

بيد أني رأيت في بعض القرى أئمة مساجد في حالة يرثى لها .
وتعامل الحكومة كل رجال الدين ، من مسلمين ومسيحيين ، معاملة واحدة بشأن الراتب ، أي أنها تدفع لهم نصفه من خزينة الدولة والنصف الآخر يأخذونـــه من اوقافهم إذا كان في الأوقاف مايؤخذ . ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الرومانية الشيوعية الملحدة تعامل رجال الدين المسيحي غير معاملة رجال الدين الاسلامي ومثال ذلك أن الخوري يتقاضى راتباً قدره ثلاثة أضعاف راتب الامام ، وحجة الحكومـــة في ذلك أن الخوري يحمل شهادة جامعية وهي حجـة واهية إذ ليس كل خوري يحمـل شهادة جامعية ولا سيما خوارنة الارثوذكس كما وأن حملة الشهادات الجامعية من أطباء ومهندسين وأساتـذة تبدأ رواتبهم بالف وخمس مئة لي" (أي مئـة دولار بالسعر الرسمي و ٥٠ دولاراً بالسعر الحقيقي) فلو كانت القضية قضية شهادات ، كان من الواجب معاملة الجميع معاملة واحدة وهذا غير حاصل لا بالنسبة إلى تقرير الرواتب من حيث الشهادة ولا بالنسبة إلى شخص حامل الشهادة . غير أن الذي فهمته هـو أن الحكومة تريد أن تضيق العيش على المسلمين لكي لا يميلوا إلى الناحية الدينية فلا يكونون أئمة ولا علماء دين فتغلق المساجد كما هو حادث في الأرياف إذ أن الإمام لا يحصل على ما يكفيه لشرب الماء لا ما يكفيه لسد الرمق ، ولذا فإن المساجـــد خربة ومهملة .

قلت للمفتي : إذا كانت حجة الحكومة في التفريق بين راتب المسلم والمسيحي هي الشهادة الجامعية ، فلماذا لا ترسلون بعثات إلى الأزهر أو إلى المدينة المنورة ليأتوا بشهادات جامعية في العلوم الدينية ؟ فقال : لقد فكرنا بذلك وبعثنا بعض الشبان إلى الأزهر فلما أخذوا شهاداتهم لم يرجعو إلينا وليس ذلك لعدم محبتهم لبلادهم أو عدم رغبتهم في نفع أبناء وطنهم بل لأنهم يعلمون بأنهم لا يستطيعون أن يفيدوا مواطنيهم بعلمهم بل سيكونون بين أحد أمرين إما أن يكونوا أدوات في أيدي الحكام يأتمرون بأمرهم وينفذون مآربهم على حساب الدين وإما أن يقضوا بقية أعمارهم في السجون . أقول: ولهذا فإن العقلاء يخشون هذه العاقبة التي قد تؤدي ، في يوم من الأيام ، إلى إغلاق المساجد كلها لعدم وجود أئمة ولعدم وجود مصلين ومسلمين إلا بالاسم .

قلت للمفتي : إني أعلم بأن اهل الخير تركوا أوقافاً كثيرة في رومانيا وباستطاعة المسلمين أن يعملوا أشياء كثيرة بهذه الأوقاف فلماذا لا تستفيدون منها؟ قال: لقد صادرت الحكومة الشيوعية كل أوقاف المسلمين فيما صادرت من أملاك . قلت : وهل صادرت أموال الكنيسة ؟ قال : لا ، إنها لم تمسها لان الحكومة لم تصادر العقارات الوقفية بل صادرت الأراضي الزراعية وحيث أن اكثر اوقاف المسلمين كانت اراضي زراعية وبساتين وطواحين فقد صادرتها وتركت لنا العقارات وهي

قليلة ولم تصادر للمسيحيين شيئاً لأن كل اوقافهم عقارات .

وبالتالي فان الشيوعيين يحتالون بشق الحيل لسلب أموال المسلمين وعقيدتهم وللضغط عليهم وإرهاقهم، وقد خنقت أصواتهم وقطعت الصلات بينهم وبين العالم الاسلامي الخارجي وتولت هي وحدها القول عنهم وملأت اسماع العالم بالمساواة وبحرية الاديان في البلاد الشيوعية وبغير ذلك من الدعايات وكل هذا الكلام كذب .

تقول الاحصاءات الرسمية ، كما قيل لي ، أنه يوجد في كل رومانيا خمسون الف مسلم ولكن الخبراء يقولون بأن عددهم أكثر من ذلك بكثير لاسيا وأن المسلمين، في كل بقاع الأرض، يخلفون كثيراً من الأولاد . وكونستنزا وما حولها تحوي القسم الأكبر من مسلمي رومانيا وفي كونستنزا ذاتها توجد أحياء إسلامية خالصة لا يسكنها إلاالمسلمون وأحياء إسلامية بأكثريتها .

وبالقرب من كونستنزا توجد مدينة سياحية يقول القائلون إنها لم تكن موجودة في عالم الوجود قبل بضع سنين بل أوجدتها الضرورة السياحية وهي مدينة مامايا، وقد زرت هذه المدينة ورأيت فيها مسجداً قديماً وله مئذنة ولست أدري فيما إذا كان يوجد فيها غيره أم لا . وقد لاحظت باب مسجد ماماياقد شطر إلى شطرين فأصبح نصفه مسجداً مهجوراً والنصف الآخر داراً للسكن ، لا أدري من يسكنها

وأعتقد أن شطر المسجد إلى جزئين إنمـــا هو مقدمة لإزالة معالمه في المستقبل ولن يعدم المتآمرون على الإسلام أن يجدوا، بعد سنوات ، حيلة لإزالة المئذنة التي ما زالت تدل عليه ثم يسهل عليهم إخفاء معالمه كاملة .

والذي يتجول في البلاد الرومانية يجد هنا وهناك مساجد ولكنها مهملة أو متداعية لأن الحكومة لا تعني بهـا وأوقاف المسلمين مصادرة والقليل القليل الذي بقي منهـــا لا يكفي رواتب للموظفين ثم لو أراد المسلمون أن يصلحوها بتبرعات يجمعونها لما سمحت لهم الحكومة بذلك .

وفي العاصمة ، بكرشتي ، التي يسميها الغربيون بخارست وكان الأتراك يسمونها بكرش لم أجد حتى ولا مسجداً واحداً فعجبت لذلك كل العجب إذ أنه من غير المعقول ألا يكون في هذه العاصمة مسجد وقد كانت ولاية عثمانية ذات شأن ومأهولة بالمسلمين ، والمسلمون يهتمون كثيراً ببناء المساجد . فسألت عن مسجد فقيل لي إنه كان يوجد مسجد واحـــد ولكن الحكومة اضطرت إلى هدمه لأنه واقع في وسط شارع جديد فنقلته إلى مكان آخر ، أي أنها هدمت الجامع القديم وبنت مسجداً جديداً في مكان آخر . فقلت لصاحب هـذه الرواية : دلني على مكان المسجد الجديد. ففكر طويلاً ثم قال لي : أعتقد أنه في مكان كذا ولكن الأفضل أن أتثبت من ذلك وأخـــذ يسأل المارة فكان كل واحد يهديه إلى مكان

وأخيراً وبعد تبادل الآراء أجمع اثنان أو ثلاثة من الناس على مكان واحد فذهبنا اليه وإذا به كنيسة وليس بمسجد . غير أن مفتي كونستنزا قال لي إنه يوجد مسجد في بخارست تقام فيه الصلاة كما يوجد فيها ٤٠٠٠ مسلم ولكنهم ضائعون في خضم العاصمة أو العاصفة لايسمع بهم أحد ولا يعلم عنهم شيئاً . والمسلمون في رومانيا مثل إخوانهم في باقي البلاد الشيوعية يعيشون على هامش الحياة فهم غير ممثلين لا في الحكومة ولا في المجالس الشعبية وليس لهم وزير ولا نائب ، وليس من سبب لهذا الإهمال إلا كونهم مسلمين ، بينما للأرمن ، وهم أقل من المسلمين عدداً ، وزير ونائب . ويعلن المسلمون هذه الحقيقة بكل مرارة وأسى ولكنهم لا يستطيعون أن يطالبوا بحقوقهم لأن المسلم ليس له حق بل يصير له حق إذا تنكر لدينه .

وهكذا يرى المرء بأن الحكومة الرومانية آخذة بإبادة كل أثر إسلامي سواء أكان مادياً كالمساجد والمدارس والأوقاف أو كان معنوياً كاللغة والعبادات وتعمل الحكومة جهدها وبكل الوسائل لهضم حقوق المسلمين وإضاعتها ، ولا يستطيع المسلمون أن يعترضوا أو يحتجوا على جور الحكومة لأن كل حركة تصدر عن فرد أو جماعة تفسر تفسيراً سياسياً وتؤدي بصاحبها إلى الموت أو العذاب الأليم .

ومما يزيد الأمر تعقيداً وصعوبة هو أن المسلمين لا يستطيعون

ان يعترضوا على شيء أو يطالبوا بشيء مادام لهم هيئة رسمية تمثلهم وتنطق باسمهـم وهي الافتـــاء . والمسلمون لا يثقون بالمفتين لأنهم يعتبرونهم صنائع الحكومة وهم لايستطيعون أن يقولوا أو أن يفعلوا غير ما تريده الحكومة ولذا فإن حقوق المسلمين ضائمـــة وليس من يدافع عنهم أو يستطيع أن يدافع عنهم .

إن المسلم يعيش في خوف دائم على روحه وعلى رزقه وعلى أمته أو بالأحرى إنه يعيش في معزل عن الحياة لكي يسلم له دينه، وإن الذي أخشاه هو ألا تبقى له دنياه ولايبقى له دينه.



المجر

وبعد هـذه الجولة في أنحاء رومانيا غادرناهـا إلى المجر فوجدنا بأن الشيوعيين قد قضوا على كل أثر للمسلمين في العاصمة على الرغم من أنه كان يوجد في بودابست عدد كبير من المساجد وعدد كبير من المسلمين بالاضافة إلى جاليات إسلامية كثيرة منتشرة في طول البلاد وعرضها منذ العهد العثماني ، ولكن عدم وجود مركز إسلامي في بودابست وبالنظر إلى الضغط والإرهاب الذي تمـارسه السلطات على المسلمين وبالنظر إلى الشبهات التي تحوم حول من يظهر أي نشاط إسلامي فقد تعذر عليّ الاتصال بالمسلمين لاستطلاع أحوالهم مباشرة . وقـــد حاولت كثيراً الاتصال بصديق قـديم لي وهو الاستاذ عبد الكريم جرماموس وهو مجري الأصل وقـد اعتنق الاسلام منذ نحو خمسين سنه ، على ماأذكر ، ولكن لم أستطع الاتصال به ولا بأية وسيلة ،ولست أدري هـــل كان في بودابست يوم مررت بهـــا ولم أهتد إليه لأن تلفونه لم يكن يجيب ، أو كان

متغيباً عنها . وعلى كل حال فإني لم أره وحيث إني لا أعرف أحـداً غيره لأسأل عنه فإن مجرد سؤالي عن المسلمين كان يجلب الأنظار إليّ وربما أضر بمن أتصل به .

أما ما استطعت أن اكتشفه من الآثار الإسلامية أو الآثار الدالة على وجود المسلمين في المـاضي فهو كنيسة ماتياس أو التتويج، وهي أكبر كنيسة في العاصمة وقيل لي إنها كانت فيما مضى مسجداً ثم صارت كنيسة ، وعلى الرغم من الأيدي الفنية والهندسية التي لعبت فيها لتغيير معالمهـا فإن النفوش العربية (أرابيسك) التي ما زالت تزينها تدل على هـــذه الحقيقة . وليست هذه الكنيسة وحدها هي مـا اغتصبه المسيحيون من المسلمين بل لقد شاهدنا مثل ذلك في كل البلاد الشيوعية وشاهدنا كثيراً من الكنائس التي كانت مساجد من قبل . وليس الشيوعيون هم الذين حولوا هذا المسجد الفخم ، الذي لايقل فخامة وضخامة عن مساجد استانبول الكبيرة ، إلى كنيسة . بل الذي حوله هم المسيحيون أصحاب العهد الماضي الذين تولوا الحكم في البلاد بعـد خروج العثمانيين منها ، وأما الشيوعيون فإنهم لم يتركوا أثراً للإسلام يدل على ما سبق من وجودهم ، اللهم إلا أثراً واحداً وهو حمام ما زالوا يعرضونه على السياح ويسمونه الحمام التركي ، وهو حمـام ما زال يستعمل للغرض الذي بني له ويستحم فيه الناس من أهل البلاد ومن الأغراب . وما عدا ذلك فإني لم أر أثراً إسلامياً في بودابست ولعل هناك

آثاراً مخفية لم تظهر لي ولا يعرفها أهل البلاد أنفسهم بل يعرفها الاخصائيون فقط أو لعله لا يوجد شيء بل أزال الشيوعيون كل أثر .

وقد سألت وألحفت بالسؤال لمعرفة فيما إذا كان يوجد في البلاد أثر عثماني فلم أجد ، ولكني سمعت بوجود مسجد في بلدة ايغيرا [(١)] الكائنة على بعد ١٤٠ كيلو متراً شمال بودابست فقصدت هذا البلد لرؤية هذا المسجد فقط ، أي أني قطعت نحو ٣٠٠ كيلو متر ذهاباً وإياباً لأرى هذا الأثر الإسلامي ولكن خيبة ظني كانت كبيرة حينما وصلت البلد ولم أجد مسجداً بل وجدت مئذنة مشرعة في ساحة من ساحات البلد وقد أحيطت قفص حديدي وكأنها مسلة أقيمت في هذا المكان ورأيت إلى جانبها وعلى بعد ثلاثة أمتار منها كنيسة ، مما يدل على أن المسجد هدم وأقيمت مكانه هذه الكنيسة وتركت المئذنة في مكانها إما لتوهين المسلمين وتحقيرهم وإذلالهم أو لكي تكون مجلبة للسياح ، ومهما يكن من أمر فإنها ستظل شاهداً على اعتداء الشيوعيين على المقدسات الإسلامية دون سواها إذ أنهم يهدمون المساجد ليقيموا الكنائس في أماكنها .

آلمني هذا المنظر فتركت المدينة وعدت إلى بودابست ومنها قصدت مدينة بيتش[(٢)] ، في جنوب البلاد ، حيث بلغني أنه .

---

(١) Eger .

(٢) Pecs .

يوجد مسجد فأحببت أن اراه لأني لم أكن أقصد من رحلتي هذه إلا الاطلاع على أحوال المسلمين ورؤية الآ ثار الاسلامية.
وما كدت أدخل المدينة حتى أطلت علينا المئذنة وإذا بالمسجد قد أصبح متحفاً أو مكتباً للسياحة تعرض فيه الصور ويسمح للزائرين بالصعود إلى أعلى المئذنة للاشراف على المدينة وما حولها. وتتقاضى الحكومة أجراً عن كل من يريد صعود المئذنة فصعدت مع الصاعدين وعددت درجات المئذنة فإذا هي ١١١ درجة إذا لم أكن سهوت في العد.

رأيت المسجد خالياً من كل أثاث وأصبح ممراً للصعود إلى المئذنة لأن باب المئذنة من داخل المسجد.

وهناك مسجد آخر فخم قائم إلى جانب ساحة المدينة الرئيسية ويقال إنه كان المسجد الجامع وقد تحول إلى كنيسة واضاف إليه المجريون جانباً جديداً ولكنهم حافظوا على شكله وقبته ونوافذه بزجاجها ونوافذها العربية من الداخل واضافوا اليها رسوم وصور بعض قديسيهم كما هي العادة في الكنائس محاولين بذلك طمس معالم المسجد، ولكن المسحة الإسلامية ظلت ظاهرة عليه والناس كلهم، والمسيحيون في الطليعة، يقولون إن هذه الكنيسة كانت مسجداً. وسواء أقال الناس أم لم يقولوا فإن شكل البناء ووجود المحراب

يدلان على حقيقته . وحيث أن إقامتي في بيتش كانت قصيرة جداً فإني لم أستطع أن أبحث عن المسلمين أو أن أجتمع بأحد منهم . وإذا كنت قصرت من هذه الناحية ، في هـــذا البلد وقصرت في كل بلد لم تتيسر لي فيه رؤية إخواني المسلمين بسهولة فالسبب في ذلك هو أن البحث عنهم قد يعرض من أقابلهم إلى غضب الحكومة ، ولذا كان لابد من التلطف في البحث لــكي لاتحوم الشبهات حولهم فيتهموا بالتجسس لحساب دولة أجنبية والاتصال بشخص غريب . فالموضوع حساس جداً في البلاد الشيوعية حيث يؤخذ الناس بالشبهات ويتهمون بالظن .

ولكي لاأعرض أحداً للخطر كانت خطتي في البحث عن إخواني المسلمين هي أن أقصد المسجد في أي بلد أدخله واجتمع بالإمام بصفتي مسلماً ، وعن طريق الامام أو غيره من المسلمين الموجودين في المسجد من أهـــل البلد أو من الأغراب كنت أتصل بأناس آخرين ، بحيث اني لم اكن افعل مايعرض أحداً للسؤال والجواب والأخذ والرد. وكنت أرى بأن السؤال عن مسلم ، من شخص لاأعرفـــه ولا يعرفني ، والذهاب اليه أو الاجتماع به امر غير محمود بالنظر إلى حساسية الشيوعيين تجاه المسلمين وتجاه كل ماهو اسلامي . ولذا فإن كثيراً من المسلمين الذين كنت أجتمـــع بهم ويحدثونني حديث القلب ، كانوا يرجونني ويلحون عليّ بألا اذكر أسماءهم ولا اشير اليهم ولا

أقول بأني أعرفهم أو اجتمعت بهم لأن كل هذا قد يعرضهم إلى الأذى أو على الاقـــل إلى السؤال والجواب ، ومن سؤل وأجاب وضعت على اسمه نقطة سوداء . واذا كان الشيوعي عامة والمسلم خاصة يعيش في بؤس وشقاء في ظـــل النظام الشيوعي فالويل لمن كان إلى جانب اسمه نقطة سوداء .



تشيكوسلوفاكيا

غادرت المجر إلى تشيكوسلوفاكيا لأدرس حالة المسلمين فيها فلما وصلتها شعرت بنفسي بأني في سجن لاأستطيع أن آتي بحركة فقد كنت أشعربأني مراقب وأن حركاتي وسكناتي معدودة عليّ وأن الناس تنظر إليّ نظرة ريبة فلا أحديكلمني ولا أحد يجيبني على سؤال وأني مقيد . وعلى الرغم من كل هذا فإني استطعت أن أتلطف إلى بعض الناس لأبحث معهم الشؤون الإسلامية من الوجهة العلمية ولكني لم أقع على مسلم من أهل البلاد أستطيع أن أفهم منه شيئاً عن حقيقة الحالة وخلاصة ما وصلت إليه هو :

١ً ـ إن عدد المسلمين ضئيل في تشيكوسلوفاكيا وهم يعيشون حياة تستر يكتمون هوياتهم لكي لا يكونوا موضع نقمة من الشيوعيين .

٢ً ـ إن الآثار الإسلامية في البلاد التشيكوسلوفاكية مطموسة تماماً وتحتاج إلى دراسه علماء آثار وإلى وقت طويل ليكتشفوها ، أو إلى إقامة طويلة في البلاد وبحث مع المسنين

من المسلمين الموجـودين فيهـــا لاستقصاء ذلك بالأحاديث والروايات .

٣ً ـ إن الشيوعيين ولا سيما بعد استيلاء الروس على تشيكوسلوفاكيا ، أصبحوا حساسين منهذه الناحيةحساسية زائدة وهم لايحتملون أنيروا من يذكرلهم الإسلام أو المسلمين، وإن الغريب الذي يتعرضلهذه الناحية يعرض نفسه ويعرض ابن البلد لمخاطر ومشاكل هما في غنى عنها لا سيما وإن نتائجها ليست بذات غناء . ولا يستطيع المرء أن يبحثهذه الناحية سراً لأن الشرطة السريةمنتشرة فيكل مكان والغريب مراقب ولذا رأيت من الصواب أنأهل هذه البلاد في الوقت الحاضر على أمل أن تقوم في يوم من الأيام بعثـة حكومية من دولة إسلامية لتقصي حالة المسلمينفيها ، لأنه إذا كان الشعبيقاسي الأمرين من الظلم والاضطهاد فأخلق بالمسلم المظلوم المضهد أن يكون أتعس حالاً .



يوغوسلافيا

غادرت تشيكوسلوفاكيا غير آسف عليها وقصدت يوغوسلافيا وكنت مشتاقاً إليها بعد فراق مضى عليه عشرات السنوات ، فقد زرت يوغوسلافيا قبل الحرب العالمية الثانية وأحببتها كثيراً إذ أحببت فيها أرضها وسماءها وجوها وبحرها وحياتها وأهلها ، وكنت أمني النفس بالرجوع إليها للاستمتاع بمعالمها الإسلامية وبالاستمتاع إلى أحاديث إخواني المسلمين فيها ، والدافع إلى هذا الحب هو أن المسلم يشعر في يوغوسلافيا أنه في بلد إسلامي مئة بالمئة مظهراً ومخبراً .

كانت زغريب أول بلد ندخله في يوغوسلافيا وعلى الرغم من أن الشيوعيين قضوا على كل مظاهر الإسلام في زغريب بحيث أنهم لم يتركوا فيها مسجداً ولا مدرسة ولا تكية ، فإن الإسلام ما زال قوياً فيها إذ يوجد في زغريب أربعون ألف بموجب الإحصاء الحكومي وربما كانوا أكثر من ذلك . وكان يوجد فيها مسجد جميل له ثلاث مآذن ويقع في ساحة من كبريات ساحات المدينة تسمى إلى اليوم ساحة المسجد أو ساحة

الأتراك ، وكلمة تركي تعني المسلم في كل أوربا الغربية أيضاً . فلما انقضى العهد التركي هدم المسيحيون المآذن وجعلوا المسجد متحفاً بعد أن غيروا معالمه وطمسوا بعض آثاره من الداخل وما زال حتى اليوم كذلك ، ولكن كل الناس يعرفون بأن هذا المتحف كان من قبل مسجداً وأكبر دليل على ذلك هو أن الميدان الذي أقيم فيه ما زال ، حتى يومنا هذا ، يعرف باسم ساحة المسجد أو ساحة الأتراك ، كما أسلفنا . وداخل المتحف وما فيه من نقوش ووجود المحراب فيه كلها أدلة على حقيقته .

وهناك رواية تقول بأنه كانت ، قبل العهد العثماني ، تحدث اختلافات ومنازعات بين الكاثوليك والأرثوذكس من أهل البلد فاستعدى الكاثوليك ، في يوم من الأيام ، العثمانيين على الأرثوذكس فأنجدوهم وأخضعوا البلاد فما كان من الكاثوليك إلا أن أهدوا العثمانيين هذا البناء ، الذي كان كنيسة ، اعترافاً بفضلهم عليهم في انقاذهم من أيدي الأرثوذكس فحوله العثمانيون إلى مسجد . ولكن لا أستسيغ هذه الرواية إذ أن الكاثوليك قدموا للعثمانيين كل البلاد أو أن العثمانيين استولوا على كل البلاد عنوة فما معنى تقديم الكنيسة وهو أمر لم يسبق أن فعله أحد ، بل كان العكس هو المعقول ، أي أن يشترط المسيحيون على العثمانيين حماية كنائسهم لا أن يسلموها للفاتح ، ولكن تصح هذه الرواية على وجه واحد

هو أن يكون أهل زغريب اعتنقوا الاسلام عن بكرة أبيهم وحينئذ تعود كنائسهم مساجد لهم ، وهذا ما يحدثنا التاريخ عنه . أضف إلى ذلك أنه لم يثبت أنه كان لهذا البناء صومعة كما هي حال الكنائس ، بينما على الضد من ذلك ، يعرف كل الناس أنه كان لهذا المسجد مآذن . ولعل الشيوعيين هم الذين أشاعوا هذه الإشاعة لكي يبرروا استيلاءهم على هذا المسجد . ثم . لو كان البناء المذكور كنيسة في الماضي لكانت الحكومة أرجعته إلى أصحابه الأصليين ولم تجعله متحفاً ، فجعله متحفاً دليل على أنه لم يكن كنيسة قط بل كان مسجداً وهو ليس أول مسجد يصبح كنيسة .

ومن المؤسف أن يكون في زغريب أربعون ألف مسلم وليس لهم مسجد بالمعنى الصحيح بل إنهم اتخذوا شقة في بناية مسجداً ، والغرفة التي جعلوها مصلى لا تتسع لأكثر من مئة شخص ، وقد رأى المسلمون أنه من العار أن يظلوا من غير مسجد فطلبوا من الحكومة أن تسمح لهم بإقامة مسجد يليق ببلدهم وبعددهم فوافقت الحكومة على هذا الطلب على اعتبار أن حكومة جمهورية كروانيا التي زغريب عاصمتها تعد حكومة إسلامية ، غير أن الحكومة وافقت على هذا الطلب ، من جهة ، ورفضته من جهة أخرى وذلك أنها رفضت أن تعطيهم أرضاً داخل حدود المدينة بل سمحت لهم ببناء مسجد على قطعة أرض خارج المدينة وبالقرب من مقبرة

بمعنى أنه لو بنى المسلمون مسجدهم في هذا المكان لما استطاعوا أن يقصدوه لأداء صلواتهم بسبب بعده عن مركز المدينة ، ولا تزال المساعي تبذل لدى الحكومة الكروانية للحصول على أرض في مكان صالح .

ولمــا كانت الحكومة اليوغوسلافية ، مثل غيرها من الحكومات الشيوعية ، قد سلبت المسلمين كل أوقافهم فإنها لم تترك للمسلمين اليوغوسلافيين الامكانات المــادية التي تساعدهم على بناء مسجد ، ولذا فقد فكر المسلمون أن يجمعوا تبرعات من العالم الاسلامي لبناء مسجد ، غير انهم اخترعوا طريقة لجمع هذه التبرعات وذلك أنهم صنعوا اسطوانة سجلوا عليهــا بعض الآيات القرآنية والأدعية وهم ينوون بيعها ورصد ريعها لهذه الغاية ، ويأملون أن تأتيهم مساعدات من ملوك المسلمين وأمرائهم وأثريائهم وأهل الخير منهم لإنجاز هذا المشروع .

والمسجد مصمم لستمائـــة شخص وقد أنفقوا على تصميمه سبعين ألف دينـــار يوغوسلافي أي نحو أربعة آلاف دولار أمريكي ويقدرون نفقات بناء هـــذا المسجد بعشرة ملايين ونصف مليون دينار أي سبعمائة ألف دولار . وهو مبلغ قليل في حد ذاته ولكنه كثير بالنسبة إلى فقر البلاد الشيوعية وإفلاسها . وسيكون إلى جانب المسجد مدرسة دينية .

وبالاضافــة إلى ما رأيت عليه اليوغوسلافيين المسلمين من حرص على التمسك بدينهم فقد رأيتهم حريصين جـد الحرص

على تعلم اللغة العربية أيضاً لأنهم يدركون أن لا إسلام بلا لغة عربية ، ولكنهم مع الأسف ، لا يجدون من يعلم إياهـا ، وحدثوني أنهـم اتفقوا مـع أستاذ من بلد عربي فاستثمرهم واستغلهم ثم إنه فر وتركهم وخلّف بعمله هذا أسوأ الأثر في نفوس القوم الذين يحسنون الظن بالعرب .

وعلى الرغم ممـا يروى عن شيوعية تيتو ، ومن أنهـا أخف وطأة على المسلمين من شيوعية البلدان الأخرى ، وعلى الرغم من أن عدد المسلمين في يوغوسلافيا يتراوح ما بين ثلاثة ملايين ونصف المليون ، كما يقول الحكوميون ، وبين خمسة ملايين كما يقول بعض المسلمين المطلعين ، فإن المسلمين مظلومون ومضطهدون ومعذبون ولم يكونوا يحسبون مواطنيين عاديين بل مواطنيين من الدرجـة الثانية . وينظر إليهم نظرة ريبة وحذر ، ولكن يبدو بأن النظرة إليهم قد اختلفت اليـوم وأصبح المسلم مساوياً لليوغوسلافي ظاهراً ولكن الحـكام ما زالوا يختلقون الأسباب لسلب المسلم حقه، وما زال الرعب يسيطر على النفوس ، وعلى الرغم من كل المواعيد التي وعدتها الحكومة بانصاف المسلمين فإن الظلم لم يرفع بعد عن كواهلهم وما زالت أوقافهم مسلوبة وما زالوا محرومين من التعليم الديني وما زالوا غيرمتساوين بالوظائف والأعمال مع غير المسلمين . فقد كان للغازي خسرو بك أوقـاف تفوق الحصر استولت عليها الحكومة ، ما عدا المساجد والعقارات ، ولم ترجعها إلى

المسلمين حتى الآن ولا هي تنوي أن ترجعها أيضاً . بينما لو أعادت الحكومة للمسلمين أوقافهم لكان باستطاعتهم أن يساهموا مساهمة فعالة في نهضة البلاد وفي رفاهيتها بفتح مدارس وإنشاء مستوصفات ومستشفيات وبناء ملاجىء ولكانوا استطاعوا أن يوفروا للمسلمين أعمالاً كثيرة ولرفعوا مستواهم. الشيوعيون لا يريدون لهم هذا بل يريدون لهم الفقر والذلة والزوال أيضاً .

والحكومة اليوغوسلافية التي يظن أنها أقرب الناس إلى إنصاف المسلمين ، لا تتأخر عن ظلم المسلم وسلبه حقه إذا كان خصمه شيوعياً فمن ذلك أن أحد اليوغوسلافيين تظاهر بالإسلام فقبله المسلمون ورحبوا به وأسكنوه شقة تابعة للأوقاف مجاناً ، وإذا بالرجل بعد مدة يرتد ويدعي أن الشقة ملكه وقد أيدت الحكومة دعواه ونصرته على المسلمين وانتزعت ملكية الشقة من المسلمين وأعطته إياها ولم يمض على هذا الحادث غير سنوات وما زال الرجل حياً ويتمتع بالشقة تحت سمع المسلمين وبصرهم . وهذا حادث من مئات الحوادث التي حدثت وتحدث باستمرار ، في ظل النظام الشيوعي ، ويسلب المسلم حقه ويهان ويظلم .

تركنا زغريب التي مثلت لنا الظلم والجور بأقبح مظاهره بما رأينا وسمعنا من أعمال ارتكبت عدواناً على المسلمين وعلى حقوقهم ،واتجهنا إلى مدينة سراجيفو أو سراي سراجيفو ،

كما يقول اليوغوسلافيون، ومررنا في طريقنا إليها بقرى كثيرة تزين أكثرها مآذن المساجد حتى إن المرء ليظن نفسه في بلد إسلامي ، غير أن أكثر هذه المساجد مغلق او مهمل والمفتوح منها خال من الناس وتبدو عليه آثار الاهمال . ومنظر المآذن وقباب المساجد تعطي تلك السهول والهضاب والوديان جمالاً لايراه المرء في غير هذه البلاد ، لأن طراز المآذن الأنيقة الباسقة وجمال هندستها وقباب المساجد التركية طراز جميل وفخم تمتاز به البلاد التركية على غيرها من البلاد الإسلامية اللهم إلا البلاد التي حكمها الأتراك مثل دمشق ومصر والتي قلدت الطراز التركي .

دخلنا سراجيفو فشعرنا لأول وهلة وكأننا في بلد مسلم مئة في المئة إذ يوجد في هذه المدينة ٧٣ مسجداً ، قيل لي إن صلاتي المغرب والعشاء تقام فيها كلها في أيام رمضان وتقام صلاة الجمعة على طول السنة في ٢٣ مسجداً منها ، وهي مفتوحة للصلوات الخمس في كل يوم .

ومن البدهي أن يكون إلى جانب هذه المساجد الكثيرة أوقاف كثيرة وأشهرها أوقاف الغازي خسرو بك وأوقاف فرهاد وأوقاف علي باشا وغيرها كثير ، وكلها قد سلبت من أيدي المسلمين واستولت عليها الحكومة ولكن أسماءها ما زالت عالقة بها وكذلك ترك أمر الإشراف على المساجد والعناية بها إلى المسلمين وهم يقومون بما يقدرون عليه من خدمات

وعناية بهذه المساجد ولولا هذه العناية لهدم أكثرهذه المساجد وزال من الوجود .

وفي سراجيفو مكتبة تعرف باسم : مكتبـــة الغازي خسرو بك فيها كتب مطبوعة ومخطوطةعربية وتركية يعود بعضها إلى بضع مئات من السنين وأكثرهـا تاريخية أو فقهية وتوجد هذه المكتبة، الآن ، في قاعات مسجد السلطان سليمان الثاني وهو مسجد كبير وأبوابه مفتوحة للصلاة وللسياح معاً.

اجتمعت في سراجيفو بالسيد حسين جوزو وهو القيم على شؤون المسلمين أو مساعد رئيس العلماء ، اكبر مرجع ديني في جمهورية البوسنة والهرسك . والسيد حسين جوزو رجل لبق ذكي ومثقف ثقافة إسلامية عربية إذ أنه درس في مصر وهو يتكلم العربية بطلاقة . وبحكم عمله فقد زار أكثر البلاد العربية أو كلها لأنـــه هو الذي يحضر المؤتمرات الإسلامية نيابة عن حكومته أو عن مسلمي البوسنة والهرسك . ويقـال بأن الحكومة تثق به ثقة كبيرة وتعتمد عليه اعتماداً تاماً .

وميزانية رئاسة العلمـــاء مليون دينار يوغوسلافي تدفع جانباً منـه ـ لا أدري كم هو ـ ويقوم المسلمون بتسديد باقي المبلغ عن طريق التبرعات . وكانت الحكومة ، فيما مضى ، وبعد أن سلبت المسلمين أوقافهم ، تساعدهم بمبلغ من المـــال لتغطية نفقات المصالح الادارية الدينية ولكنها بعد ذلك أوقفت هذه المساعدات فاضطر المسلمون إلى أن يجمعوا المـــال اللازم

من أهل الخير والثراء لتغطية هذه النفقات وأن يعملوا جهدهم للإبقـــاء على ما هو موجود من المساجد على حاله ويتعهدونه بالعناية والترميم حتى لا يتهـدم وحتى يستطيع المسلمون القيام بشعائرهم الاسلامية ، ولولا هذه الأريحية وهذا الإيمان لتهدمت أكثر المساجد وزالت ، وهذا ما كانت ترمي إليه الحكومة التي تدعي صداقة العرب وصداقة المسلمين ولكن المسلمين اليوغوسلافيين فوتوا عليها ما أرادت بفضل تكاتفهم وتعاونهم.

والنهضة الدينية الإسلامية في يوغوسلافيا نهضة مباركة لأن المسلمين أخذوا يشعرون بالخطر المحدق بهم فصاروا يعملون لدفعه . ويوجد اليوم ، في سراجيفو ، مدرسة دينية إسلامية تضم ٣٠٠ طالب وكان يوجـد من قبل مدرسة دينية للبنات فألغيت بعد الحرب العالميـة الثانية . وتسعى رئاسة العلمـاء الآن إلى إعادة إنشاء الكلية الشرعية التي ألغتها بعد الحرب أيضاً ، وتقدر تكاليفها بـ ٧،٥٠٠،٠٠٠ دينار وستجمع كلها تبرعات من المسلمين . ويبلغ عدد المسلمين في مدينة سراجيفو بـ ١٥٠،٠٠٠ نسمة أو يزيدون .

والمسلمون في يوغوسلافيا متمسكون بدينهم تمسكاً شديداً ، ورغم المحاولات العديدة ، التي قام بها الشيوعيون وقام بها أعداء الإسلام والمسلمين والمنافقون لصرف الناس عن دينهم فإن هذه المحاولات لم تزد الناس إلا إيماناً وتعصباً لدينهم وتمسكاً به .

وقد تسنى لي أن أزور بعض إخواني المسلمين في منازلهم فكنت أرى منهم كل لطف وإيناس وأستقبل بالترحاب والاحترام لمجرد كوني مسلماً . وقد رأيت المسلمين في منازلهم، الآن، وعلى الرغم من اختلاف طراز الحياة، بين الماضي والحاضر، يعيشون كما لو كانوا يعيشون في الزمن الماضي . فهم يخلعون أحذيتهم داخل الغرف ولا يمشون بها على السجاد لكي يبقى فرشهم وأثاثهم طاهراً صالحاً للصلاة عليه ، ويعيشون حياة عائلية متماسكة منسجمة الأب والأم رأس الأسرة والبنات والأبناء اعضاء متممة في أسرة صالحة ، وكل الذين رأيتهم من نساء ورجال رأيتهم متعصبين لدينهم حريصين على القيام بفروضه ومظاهره ، والأدب التركي ، الذي نعرفه في طفولتنا ما زال شعار القوم إذ كانت ربة المنزل حينما تقدم إلينا القهوة التركية رمز الترحيب والإيناس تظل واقفة أمامنا وإحدى يديها على صدرها والصينية في اليد الثانية حتى ننتهي من شرب القهوة ولم تكن ترضى بالجلوس ، في حضرتنا ، إلا بعد إصرار شديد وإلحاح ورجاء .

وفي سراجيفو نادٍ للشبان المسلمين تابع لرئاسة العلماء وله جريدة اسمها (البعث الإسلامي)ولكنها جريدة متواضعة وتكاد تكون محصورة في أعضاء النادي لأنها لا تستطيع أن تعالج من الأمور إلا ما ترضى عنه الحكومة ، بيد أن كل هذه الأمور تدلنا على أن الحكومة اليوغوسلافية لم تعد تستطيع

أن تضغط على المسلمين كما كانت تفعل في بدء الثورة بل أخذت تدرك أهميتهم العددية في كيان الدولة وأنهم يستطيعون أن يحطموا هذا الكيان إذا ما ثاروا أوطالبوا بالاستقلال عن بقية الجمهوريات، وعملية مثل هـــذه يخسر فيها المسيحيون خسارة كبيرة لأن أفضل جمهوريات يوغوسلافيا اقتصادياً وسياحياً وإقليمـــاً ومناخاً هي جمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية كراونيا وهما إسلاميتان من حيث عدد السكان .

نعم ، إن رئاسة العلماء هي التي تقوم بهذه الأعمال ولكن ما كان لهـــذه الرئاسة أن تعمل عملاً لا توصي به الحكومة المركزية أو لا ترضاه بدليل أن رئاسة العلماء موجودة في البلاد من قبل أن تخلق الشيوعية واستمرت بعد الشيوعية ولم تستطع أن تأتي بعمل إلا في نطاق موافقة الحكومة وسياستها .

ولعل أصدق مثال على ذلك هو ما رواه لي أحد المسلمين متألماً حيث قال : إن الشيوعيين يحاربوننا بالقول وبالفعـــل سلباً وإيجاباً ومثال ذلك أنهم يجبرون أبناءنا الذين يؤدون الخدمة العسكرية على أكل لحـــم الخنزير لكي يعودوهم على الاستهتار بأمور دينهم والاستخفاف بهـا . فلما احتج الجنود ورفضوا أكل لحم الخنزير أخـذت الحكومة بعضهم وعاقبته ولكن هذا العقاب زادهم نفوراً وإصراراً فخشيت الحكومة العواقب إذ هدد الجنود بثورة حاطمـة، وقيام ثورة في البلاد أمر مخيف ولذا فلم تر الحكومة علاجاً ناجعاً لتهدئة الخواطر

وللاستمرار في أكل لحم الخنزير إلا أن استصدرت فتوى من دار الافتاء تجيز للجنود المسلمين أكل لحم الخنزير .

سمعت هذا وعجبت من جرأة دار الإفتاء على إصدار تحليل بأكل طعام محرم بلا مبرر بينما بالإمكان إطعام الجنود لحم البقر إذا عز الضأن ، ولكن الحكومة لا تريد ذلك لسببين، السبب الأول : هو إذلال المسلمين وإفساد عقيدتهم . والسبب الثاني : هو كون لحم البقر نادر وتصدره الحكومة إلى الخارج لتأتي بالقطع النادر . واجتمعت إثر ذلك بالحاج إبراهيم ذو البهار رئيس الأئمة ومفتش الأوقاف وسألته عن ذلك فقال لي: نعم ، لقد أفتينا بتحليل أكل لحم الخنزير للجنود استناداً إلى قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). قلت: وأين فتواكم من هذه الآية التي تنص على أن يكون أولياء الأمور من المسلمين الذين يعرفون الحلال والحرام ولا يأمرون بما يخالف حكم الله؟ ثم أين هذا من قوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ !» .

وهكـذا يعمل الشيوعيون على تصديع البناء الإسلامي بكل وسيلة باللين تارة وبالعنف أخرى وبالاغراء والحيلة أحياناً ولكنهم لم يبلغوا حتى اليوم ما يريدون ولن يبلغوه أبداً . وكل ما استطاعوا أن يفعلوه هو أنهم أدخلوا الإلحاد في صدور بعض الأغرار الذين استهووهم بالملاذ الجسمية والأعراض الدنيوية واستخدموهم ليكونوا أدوات لهم في تضليل غيرهم من الجهال.

وسبب عدم نجاح الشيوعيين في تضليل المؤمنين هـو أولاً أن الشيوعية كشفت عن نفسها بعد أن فشلت في كل أعمالهـــا وكذبت في كل مواعيدها، وثانياً لأن المسلم قد يتهاون بأمر دينه أو قد يقصر بأداء بعض واجباته إما كسلاً أو جهلاً أو تحت تأثير بيئة معينة ولكنه لايرضى عن دينه بديلاً . لأنه لا يجد مايساويه أو يدانيه، بل كل مافي الأمر أن المسلمين في غفله ولا بد لهم من أن يستيقظوا ، ويوم يستيقظ المسلمون يكون يوم انبثاق فجر جديد في عالم الأخوة العالمية والانسانية الكاملة والنهضة الاصلاحية الشاملة وهو يوم لا بد آت لأن الدين عند الله الاسلام ولن يقبل من الانسان العاقل الكامل ديناً غيره.

ومن المدن اليوغوسلافية التي يجب على كل مسلم أن يطلع على حالتها مدينة سكوبيه التي كان العثمانيون يسمونهـــا اسكوب ، وكانت في العهد العثماني لا تقل أهميـــة . من حيث إسلامها ، عن مدينة سراجيفو إذ كان يوجد فيها مئتا مسجد لم يبق منها اليوم إلا عشرون مسجداً وهذه العشرون كلها خربـــة وهي أقرب أن تكون خرائب من أن تكون مساجد ، والحكومة عاملة جهدها في هدمها وتخريبها والقضاء عليها بالإهمال تارة وبالاستيلاء تارة أخرى بحجة شق طرقات أو إقامة أبنية مكانها . وهذه المساجد القليلة تظل مغلقة إلا في أوقات الصلاة حيث يحرص المسلمون على أداء صلواتهم في المساجد ، ولا تبالي الحكومة أن تلجأ إلى أية حيلة لهـــدم

المساجد وطرد موظفيها من غير أن تدفع لهم تعويضات .

وبلدةفيهامئتا مسجد هي بلدة إسلامية مئة بالمئة ،وكانت قبل ثلاثين سنة فقط تعـد خمساً وستين الف نسمة جلهم من المسلمين فأمرت الحكومة الشيوعية ، للقضاء على هذا المظهر الاسلامي، بتهجير مسيحيي القرى المجاورة إليها وفسحت لهم المجال ليعيشوا فيهـا وأغدقت عليهم المساعدات من أموال المسلمين ، ليعملوا فيها حتى تمكن لهم في الأرض ، فأصبحت مدينة اسكوب تعد اليوم ٣٥٠ الف نسمة عشرهم مسلمون فقط وهم الطبقة الفقيرة المعوزة التي يدخرهـا الشيوعيون للأعمال الشاقة الدنيئة التي لايعملها المسيحيون أو الشيوعيون إجمالاً،لأن هؤلاء وأولئك هم أبناء السيدة والمسلمون أبناء الأمة . والحكومه اليوغوسلافية تقول إنها لاتظلم المسلمين وقد تكون صادقة ، من حيث إن قوانينها التي تعرفها تنص على عـدم التفريق بين المواطنين، ولكنها في الواقع تظلمهم فعلاً وتحتقرهم وتولي عليهم من يظلمهم وتكافح دينهم وتعمل على إبادتهم وعلى هدر كرامتهم . فقد رأيت بعض أئمة المساجد في أسكوب وكأنهم متسولون لا بل كانوا يتسولون فعلاًوقد تصدقت عليهم وسمعت منهم ما يفتت الأكباد ويهز الجماد .

ومررنا بمدينة بيتولا (١) فرأيت فيها مسجدين كبيرين

---

(١) Pitola .

ولكنهما مغلقتان وعليهما أقفال، مبالغة في منع الناس من دخولها . وقد رأيت أمام أحد المسجدين أي في مقبرة حرم المسجد قبوراً منها قبر المشير رشيد الباشا المتوفى في سنة ١٢٦٣ هـ . ويلقب بمشير الروملي . . وأكثر هذه القبور قد درست وبعثرت شواهدها تمهيداً للاستيلاء عليها .

هذا قليل من كثير من حالة مسلمي يوغوسلافيا ولو تحرى المرء الحقائق لما وجد قرية من قرى البلقان إلا وفيها مسجد أو أثر إسلامي ولكن الشيوعيين آخذون بالقضاء عليها وإزالة آثارها ولا يبرزون للسياح إلا الوجه المسيحي والآثار المسيحية أو الشيوعية ، اللهم إلا ما لا يقدرون على طمسه أو لم يقدروا على طمسه حتى اليوم ، وليست الاضطرابات التي حدثت في أواخر السنة الماضية واستمرت شهوراً وكادت تؤدي إلى فصل المناطق الاسلامية عن باقي البلاد إلا نتيجة لهذا الظلم الذي يقاسيه المسلمون من مواطنيهم أو بالأحرى من رجال الحكومة ورجال الحزب الملحدين . غير أن الشعب لن يسكت على الضيم ولا بد له من أن ينفجر لأنه وصل إلى حافة الهاوية وسنشهد هذا الانفجار يوم يتوارى وجه تيتو عن الأنظار وما هو ببعيد .



الاتحاد السوفييتي

لما كان الاتحاد السوفييتي قد أغلق أبوابه في وجه السياحة الحرة فلا يسمح للمرء أن يدخل البلاد إلا عن طريق شركات السياحة التي تأخــذ السائح من بلده وتنزله في بلد معين وتريه من المدن ومن الأماكن ما تريد أن تريه فقط من غير أن تسمح له بأن يتطلع ببصره إلى ما وراء ذلك ومن غير أن يعلم شيئاً عما يجري وراء تلك الأستار المادية والمعنوية التي تقيمها أمامه أو يعرف شيئاً مما يقاسيه أهل البلاد من ويلات وإحن ومصائب ومحن ، ولما كانت لا تسمح أيضاً لأبنائهـــا أن يتكلموا لنسمع صوتهم وندرك بلواهم فقد ظل الاتحاد السوفييتي طيلة نصف قرن بلداً مجهولاً نسمع به ولا نعلم عن حقيقته شيئاً إلا ما يريد حكامه أن نعلمــه . ونحن الذين تعودنا العيش في بلاد الحرية وتشرفنا بالاسلام الذي أطلق لنـــا العقل من عقاله ليحلق في أجواء الكرامة نرى في استبداد المرء بعقل أخيه وتفكيره إهانة للإنسانية ذاتها . وكنا نظن ، قبل أن نزور بعض البلاد الشيوعية التي فتحت أبوابها للسياحة الحرة والتي أشرنا اليهـــا

فيما سلف ، أن الشيوعيين قد عادوا إلى صوابهم وانفتحوا للغريب ولكننا بعد أن رأينا البلاد الشيوعية ودرسنا أحوالها أو ما تسنى لنا دراسته من أحوالها علمنا بأن هذا الانفتاح لم يكن انفتاحاً انسانياً بل هو انفتاح اقتضته مصلحة البلاد الاقتصادية التي أصبحت تئن تحت نير الفاقة وتئن من الحرمان، وما عدا ذلك رأينا بأن الشيوعيين في بلادهم منطوون على أنفسهم ويحرمون بلادهم على المواطن نفسه بحيث لا يسمح لشيوعي أن ينتقل داخل بلاده من مدينة إلى مدينة أو من الريف إلى المدينة أو العكس إلا بإذن خاص ، ووجوده في البلد الذي ينتقل إليه خاضع للرقابة . والإذن بالانتقال لا يعطى إلا في حالات خاصة واضطرارية وبشفاعات قوية وفي كثير من الأحيان يرفض الطلب وحينما ينتقل الشيوعي من مدينة إلى مدينة ، داخل بلاده ، عليه أن يخبر الشرطة بمحل إقامته وأن يعود إلى بلده في نهاية الرخصة الممنوحة له . وأما انتقال الشيوعي من بلده إلى بلد شيوعي آخر فهو مثل انتقاله إلى بلد من بلاد الحرية والديمقراطية وقلما تسمح الحكومات الشيوعية بمثل هذا الانتقال .

بعد كل هذا لا عجب إذا رأينا الشيوعيين يحظرون على أهل البلاد الحرة دخول البلاد الشيوعية لكي لا تهتك أستارهم وتفضح أسرارهم، وأرى بأن شأن الشيوعيين في أعمالهم هذه شأن

اللص الذي يخفي سرقتة لكي لا ينفضح أمره ويؤخذ بجرمه وإلا لو كان عند الشيوعيين ما يباهون به أو ما كانت رؤيته لا تزعج الناس لكانوا فتحوا أبوابهم على مصراعيها وقالوا للناس : تعالوا وانظروا ما عندنا واقتدوا بنا وافعلوا فعلنا ولكنهم يعلمون بأن ماعندهم مخازي لاتليق بانسان يحترم نفسه فيستر ونها ويكتمونها .

ولما كان الاتحاد السوفييتي هو الوطن الأول للشيوعية وهو الذي يتولى كبر هذه الدعوة الصهيونية الاجرامية اللاأخلاقية واللا إنسانية . ويسعى إلى نشرها في بلاد العالم كله ، ولما كان الاسلام هو العدو الأكبر الذي ترهبه الشيوعية وتخشاه وتسعى إلى هدمه لتحل محله فسادها وإباحيتها وإلحادها ، كان لا بد لنا من إلقاء نظرة على هذه البلاد وعلى حالة المسلمين فيها لأن كتابنا هذا يظل ناقصاً إذا لم نفعل ذلك . ولما كنت لم أستطع زيارة الاتحاد السوفييتي زيارة حرة ، أدخله متى شئت من حيث شئت وأجتمع بمن أريد وأتحدث فيما أريد كما هي حال السائح في البلاد الحرة الديمقراطية ، رأيت بأن أستعين بما كتبه الكتاب ممن تسنى لهم الاطلاع أكثر مني على حالة هذه البلاد إما لأنهم عاشوا فيها مراسلين صحفيين أو أساتذة أو دبلوماسيين، أو أنهم رأوا الأمور بعقولهم فكتبوا عنها، أو أنهم درسوها دراسة تاريخية واطلعوا من خلال كتب التاريخ فنقلوا ما قرأوا .

من الجدير بالذكر ، قبل أن نخوض في صلب الموضوع الذي نحن بصدده ، أن ننبه إلى حقيقة قد يجهلها كثير من الناس وهي أن العنصر الاسلامي في بلاد الاتحاد السوفييتي ليس عنصراً غريباً دخل البلاد فاتحاً ثم استقر فيها، بل المسلمون هم أهل البلاد وساداتها .

ففي القرن الثاني للهجرة دخل الاسلام الاتحاد السوفييتي واعتنقته أكثر القبائل التي كانت تسكن تلك الأقطار وظل فريق على وثنيته ، وعلى الرغم من فقدان الوحدة العرقية واللغوية بين هذه القبائل فقد اتحدت وتآخت بالاسلام وأصبحت قوة متراصة لا يربط بعضها بالبعض الآخر إلا الاسلام ، فأنشأت ممالك وإمارات قوية وبنت صروحاً علمية للحضارة والمدنية والعلم وظهر منها علماء أعلام يعتز بهم العلم والاسلام ، وفي عهد هذه الممالك أخذ الاسلام ينتشر في البلاد حتى أصبح بالامكان أن يقال بأنها كانت بلاداً إسلامية قلباً وقالباً مظهراً ومخبراً ثقافة وديناً ، ونستطيع أن نشبه روسيا في العهد الاسلامي باسبانيا، فكما أن اسبانيا كانت بلداً مسلماً على الرغم من وجود جاليات غير إسلامية فيها فكذلك كان شأن الاتحاد السوفييتي ، مع فارق واحد وهو أن أهل روسيا كانوا وثنيين بينما كان أهل اسبانيا مسيحيين ، ولم تدخل المسيحية البلاد الروسية إلا بعد أن دخلها الاسلام بقرون، وحيث أن المسيحية في أوربا شعرت بأنها محاصرة بالاسلام من الشرق

ومن الغرب والجنوب، وأن الاسلام أخذ يكتسحها رويداً رويداً . والناس يقبلون عليه برغبة ، فقد استيقظت النعرة المسيحية في أوربا ولا سيما بعد الحروب الصليبية ، وشن المسيحيون حملة مركزة على الإسلام شملت العالم كله ، وقد أصاب مسلمي روسيا ما يصيب كل امرىء يغفل عن رعاية مصالحه وينام عن تفقد شؤون نفسه ويستسلم للدعة والراحة والاطمئنان ظاناً بأن ما هو فيه من نعيم هو حق من حقوقه المكتسبه التي لاينازعه فيها منازع ولا يقدر أن يسلبه إياها أحد من الناس ، غافلاً عن حقيقة أزلية أبدية وهي أن الارض لله يرثها عباده الصالحون. فبينما كان المسلمون يستسلمون للنوم الهنيء ويهملون شؤون أنفسهم كان المسيحيون يتأهبون للانقضاض عليهم فما كان منتصف القرن السادس عشر حتى نهضت الدولة الموسكوبية، وهي إمارة مسيحية كانت تسيطر على موسكو وما حولها ، فعرفت بهذا الاسم أو باسم الدولة الموسكوفية . واستلمت زمام المبادرة وأخذت تدفع المسلمين عن مراكزهم إلى الوراء وتخضعهم لسلطانها فيخضع من يخضع ويفر من يفر ملتجئاً إلى البلاد الإسلامية ، وما جاءت نهاية القرن التاسع عشر حتى بلغت الجيوش الروسية الموسكوفية حدود الهند والصين وأزالت كل الدول الإسلامية واستعمرتها.

لم تكن الحروب بين الروس والمسلمين حروباً سياسية بل كانت حروباً صليبية قامت عن أساس ديني ، كما حدث في

الأندلس، وما زال الروس منذ تلك اللحظة المشؤومة وإلى اليوم وهم يسيرون بالسياسة ذاتها عاملين على مكافحة الإسلام وإبادة المسلمين .

فقد استولى الروس على مدينة قازان العاصمة التترية ، والتي كانت مركزاً لحضارة اسلامية عريقة ، ثم دمروها وجعلوا عاليها سافلها ، ثم إنهم استولوا على امارة استراخان وأبادوا العناصر القيادية فيها وطردوا أهلها من المدن الكبيرة وصادروا ممتلكاتهم وأراضيهم الخصبة الكائنة في السهول وقرب الأنهار وأقطعوها لنبلاء الروس وللكنائس وللفلاحين المسيحيين الذين أتوا بهم من أواسط آسيا ، ثم تقدم الروس واستولوا على مملكة سيبر الاسلامية التي يسمونها اليوم سيبريا وأنزلوا المسلمين منزلة المنبوذين والمشردين بحيث لم يكن يحق لهم أن يتمتعوا بالمساواة النسبية مع المسيحي الروسي إلا اذا ارتدوا عن دينهم واعتنقوا المسيحية. ثم تابع الروس غزوهم في بلاد تركستان الاسلامية وكان رائدهم في كل ما يفعلون تدمير الاسلام وإبادة المسلمين ومصادرة أراضيهم وهي السياسة التي مارسها الشيوعيون وساروا عليها ، وكذلك كانت الحكومات القيصرية تطرد المسلمين من مدنهم وقراهم لتحل محلهم أقواماً آخرين وقد اقتدى بهم الشيوعيون حذو القذة بالقذة. فالسياسة الشيوعية ، إذن ، هي ليست سياسة مبتدعة بل سياسة متبعة، وهي سياسة تستهدف الاسلام عقيدة وكياناً.

لم يقبل المسلمون الذل والانددحار خانعين ولا استسلموا

متخاذلين بل قاوموا الاعتداء وأهرقوا الدماء بكرم وسخاء وثاروا على الظالمين ثورات عديدة كان أشدها ثورة الامام المنصور ثم ثورة الامام محمد شامل ودامت هذه الثورات نحو ثلاثة أرباع القرن ولم يستسلم المسلمون إلا بعد أن عجزوا عن المقاومة أمام أساليب الروس الوحشية ، ولكنهم كانوا باستسلامهم كالباحث عن حتفه بظلفه ، إذ إنهم أثناء المقاومة كانوا يموتون ميتة الأبطال فأصبحوا بعد الاستسلام يموتون ميتة الجيف إذ إنهم تعرضوا لإبادة شاملة ، وبالتالي فقد انتصروا يوم كانوا مسلمين وكانوا يرون في الجهاد إحدى الحسنيين وذلوا يوم أهملوا أمر الاسلام وما زالت السكين تعمل في رقابهم منذ قرنين .

والسياسة التي يتبعها الشيوعيون ، اليوم ، إزاء المسلمين هي السياسة التي كان يتبعها القياصرة فيما مضى ولكن على نطاق أشد تعسفاً ووقاحة . ويقول المؤرخون بأن الروس ، زمن القياصرة، نظموا حملات واسعة النطاق لتنصير المسلمين ، وفي الفترة التي امتدت من سنة ١٧٣٨ الى سنة ١٧٥٥ هدم الروس في بلاد قازان وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً وأغلقوا كل المدارس الاسلامية وفتحوا بدلاً عنها مدارس تبشيرية أو لمقاومة الاسلام، واستولت الحكومة على أوقاف المسلمين، ولتشجيع التنصر أعفت الحكومة المرتدين عن دينهم من دفع الضرائب ومن الخدمة العسكرية وزيادة في الجور والأذى والاعنات حملت ما يصيب المرتدين من

ضرائب على أعناق المسلمين، وكانت العقيدة الاسلامية جريمة يعاقب عليها بالاعدام .

وكانت الحملات تشتدوتخف بحسب الظروف وميول الحكام واتجاه السياسة العامة من عالميةومحلية كما هي الحالعند الشيوعيين اليوم تماماً، وكأن التاريخ يعيد نفسه إذ بعد أن أوقفت الحملة على المسلمين زمن الملكة كاترين الثانية تجددت الحملة عليهم في عهد اسكندر الثاني ولكن بطرق جديدة وأساليب حديثة،فمن ذلك أن قام المبشر نيقولا المنسكي ، سنة ١٨٦٣ ، بوضع سياسة تعليمية جديدة وذلك بانشاء مدرسة دار المعلمين خاصة بالتتر المتنصرين على أن يقوم هذا الفوج ، من أولاد المرتدين . بعد تخرجهم من المدرسة بالتبشير في الأوساط الاسلامية لحمل المسلمين على التنصر . وطريقة الاعتماد على الأجيال الصاعدة طريقة لجأت اليها الشيوعية كما تلجأ اليها كل الأحزاب العقدية الحديثة التي سارت في ركاب روسيا الشيوعية أو تشبهت بها .

وقد أعجبت الحكومة القيصرية بفكرة المبشر المنسكي وأيدت حملته التي نجحت الى حد بعيد إذ ارتد عن الاسلام بالترغيب والترهيب نحو مئة ألف مسلم في النصف الثاني منالقرن التاسع عشر . غير أن ارتداد هذا العدد الضئيل بالنسبة الىعدد المسلمين الروس لم يكن كافياً للتأثير علىالمسلمين بل أيقظ حماستهم وفتح عيونهم على النيات المعادية التي كان يضمرها لهم الروس ، ولذا فقد رأت الحكومة القيصرية إمعاناً في إضعاف المسلمين أن

تفرقهم وتباعد بينهم ولم يكن لديها إلا العرق واللغة تلجأ اليهما لبلوغ هذه الغاية وقد فعلت ولكنها لم تنجح، وجاءت الشيوعية لكي تكمل الشوط الذي قصرت فيه القيصرية ولجأت الى سياسة تفتيت الجماعة الاسلامية القائمة على مجتمع إسلامي تركي وأقامت على أنقاضه مجتمعات إقليمية ولغوية وعرقية فجاء عملها اعتباطياً لا يقوم على علم ولا منطق ولا تاريخ لأن تنفيذ هذه السياسة كان يقتضي خلق لغات مكتوبة لكل قوم وخلق تاريخ وخلق ماض وهذا كله غير موجود فعمد الشيوعيون الى سياسة إجرامية ترمي الى استئصال الاسلام من جذوره وذلك بنشر الالحاد واعطاء الفكرة الشيوعية الصهيونية صفة الدين حتى اذا خرج المسلم عن دينه ورأى أن الإلحاد لا يشبع نهم روحه صرفوه الى الشيوعية، ولكن اليقظة الاسلامية العالميـة أفسدت على الشيوعيين خططهم هـذه ولم تنجح الشيوعية في مساعيها الضالة الا بمقدار ضئيل مما جعل صاحب كتاب (الاسلام في الاتحاد السوفييتي) يقول : مما يجب أن يدرسه الدارسون هو كيف استطاع المسلمون في الاتحاد السوفييتي أن يحافظوا على دينهم ونمط حياتهم ، في ظـل نظام لا يخفي ازدراءه لهذه الشعائر القديمة كما أنه لا يخفي إصراره على القضاء عليها . ويضيف قائلا : قد يمكن أن تكون أيام الجهاد المقدس قد مضى وقتها ولكن الطبقة المثقفة من الشبان المسلمين السوفييتيين ، وهم غرسة الشيوعية ، يقاومون الشيوعية ، اليوم ، مقاومة أكثر مرونة وأبعد مهارة وأشد صلابة مما كان يتوقعها

الروس أنفسهم . وان السلطات السوفييتية تشعر بهذه المقاومة الصامتة ذات الطابع الاصراري ولكنها لا تفهمها فهماً تاماً ، وهي ظاهرة خليقة بأن تدرس وأن تحلل لأنها وإن كانت أقل شأناً وأبهة من مسيرة الظفر التي شنتها الجيوش العربية والعثمانية إبان عصر الاسلام الزاهر وعظمته الدنيوية الا أنها تبرهن بصورة جازمة ، على حيوية الاسلام وشدة مقاومته وقد تكون لها ، على مرور الزمن ، نتائج عملية باهرة .

هذا ما قاله صاحب كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» وهو قول عالم بعيد النظر وخليق بنا نحن المسلمين ، قبل غيرنا من الناس ، أن نولي هذا القول كل عناية وانتباه لأن بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ، رغم تكالب العالم عليهم وعليه ورغم ما مر بهم وبه من مؤامرات وما تعرضوا وتعرض له من حملات أمر يلفت النظر ويوحي بأن الذي يحمي الاسلام والمسلمين هو الله وحده حتى ولو انعدمت الأسباب الظاهرة ، إذ لو تعرض غير الاسلام لما تعرض له الاسلام ، منذ ١٤ قرناً والى اليوم ، لأصبح أثراً بعد عين بينما الواقع هو العكس اذ نرى المسلمين يزدادون تعلقاً بدينهم والاسلام يواجه أكبر التحديات العلمية والعقلية وينتصر عليها وعلى الملحدين والمغرضين .

وإذا كنا رأينا ، فيما سلف ، ونحن نتكلم عن حالة المسلمين في أوربا الشرقية وكيف يتعرضون للظلم والتعذيب والتنكيل والارهاق ، فإن ما يتعرضون له هو نتائج لأسباب معينة وهذه

الأسباب صادرة عن مركز الشيوعية الرئيسي ونعني به موسكو أو الاتحاد السوفييتي ، فهو يضع المخططات ويأمر بتنفيذها في جميع المستعمرات الشيوعية وهو المسؤول عن كل ما يجري في العالم من فساد . وإذا ما علمنا بأن الشيوعية هي وليدة الصهيونية أو هما صنوان أدركنا أن ما يقاسيه المسلمون في البلاد الشيوعية إنما هو بتدبير الصهيونية العالمية ولذا فإن ما ذكرناه ، فيما سلف، عما يقاسيه المسلمون في بلاد أوربا الشرقية الخاضعة للنفوذ الروسي سياسة واقتصاداً وعقيدة ، إنما هما جزء يسير مما قاساه ويقاسيه المسلمون في الاتحاد السوفييتي ، البلاد الشيوعية الأم ، لأن روسيا تعيش وراء ستار حديدي لا يعلم أهل البلاد بما يجري فيها فكيف بالبلاد البعيدة عنها .

وعلى الرغم من أن الشيوعيين الروس ينكرون عداءهم المسلمين ويتظاهرون بالتودد اليهم فان الوقائع وتاريخ الشيوعية ومآسيها وآثامها تكذبهم . وكيف نستطيع أن نصدق أقوالاً معسولة يبذلها الشيوعيون في مناسبات خاصة ونحن نعلم علم اليقين أن الشيوعية عدوة الدين وأن أول هدف للشيوعيين هو مكافحة الدين والقضاء عليه وان هذا العداء هو مبدأ من مبادىء الشيوعية الملحدة الذي لا تستطيع أن تتزحزح عنه وإلا فإنها لا تكون شيوعية ! وها نحن نذكر نبذة تاريخية عما تقلب فيه الإسلام والمسلمون في العهد الشيوعي في روسيا :

قام الشيوعيون بالثورة واستلموا الحكم في روسيا وهم

يعلمون ماذا يريدون أي أن برنامجهم كان مخططاً ومرسوماً
ولا يحتاج إلا للتنفيذ ، وكان إفناء المسلمين والقضاء على الإسلام
في رأس قائمة الأعمال التي ينوونها لأن الشيوعية هي بنت اليهودية
الفاجرة واليهود يعلمون بأن المسيحية لا تستطيع أن تقف تعاليمها
وتاريخها أمام اليهودية لأنها هي ذاتها فرع من اليهودية وتشريعها
هو التشريع اليهودي ذاته ولكنهم يخشون الإسلام لأنه هو الدين
الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه اليهودية وغير اليهودية
من الديانات والعقائد أو من الأديان السماوية ومن الأديان الأرضية .
وحيث إن اليهود يعللون أنفسهم بأن يحكموا العالم ، في يوم من
الأيام ، ولما كانوا لا يقدرون أن يحققوا هـــذه الأمنية ما دام
الإسلام قائماً ولذا فانهم جعلوا هدفهم القضاء على الإسلام أولاً ،
غير أنهم لم يكونوا يتظاهرون بهذه النية ولا هم يتظاهرون بها
الآن وقد اتخذوا الشيوعية درعاً لهم لكي تنقل العالم من الدين
إلى الالحاد ثم متى قطعوا هذه المرحلة عادوا ونقلوا أهل الأرض
إلى الدين وحيث ان المسيحية فرع من اليهودية ولذا فمن البدهي
أن يقبل المرء الأصل ما دام الفرع تابعاً له . وان فكرة الشيوعية
بإقامة دولة العمال العالمية إنما هي ستار لدولة اسرائيل العالمية التي
يحلمون بها . وعلى الرغم من أن الشيوعيين لا يفكرون أنهـــم
ملحدون فانهم يقولون بأن إلحادهم هذا لا يعني الا أنفسهم وهم
لا يبالون بأن يظل غير الشيوعيين متمسكين بدينهم أو بالأحرى
انهم يقولون إنهم يحترمون عقائد الناس مهما كانت . وكيف

يستطيع أن يحترم شيئاً من لا يؤمن به ويعاديه ويكافحه؟ غير أن الشيوعية القائمة على الكذب والنفاق لا تبالي بأن تقول ما لا تفعل وأن تفعل خلاف ما تقول ولذا فان أول أهداف الشيوعية كان مكافحة الاسلام والمسلمين وأول ما فعلوه في هذا المضمار هو أنهم لجأوا الى أمور تساعدهم على تفريق شمل المسلمين ولكي يبلغوا هـــذه الغاية انتزعوا المسلمين من الوسط الاسلامي الذي كانوا يعيشون فيه بكل مقوماته ويشد القبائل بعضها إلى البعض الآخر وجعلوهم أشتاتاً ، ففي الوقت الذي يسعى فيه العالم كله إلى التقارب بين الأقوام بايجاد قوميه واحدة ، كما يفعل الشيوعيون أنفسهم ، وبايجاد لغة واحدة جامعة أو بضع لغات محدودة فقط خلق الشيوعيون للمسلمين الروس من لهجاتهم المحكية لغـــات مكتوبة لتمزيق شملهم .

لقد كان التتر ، قبل الثورة الشيوعية ، أقوى عنصر اسلامي في روسيا وكانت لهم لغة ذات آداب رفيعة وماض بعيد وكانوا أمة ذات كيان وتاريخ ، فلما نشبت الثورة ورأى الشيوعيون أنهم بحاجة إلى المسلمين وإلى مساعدتهم ومساندتهم لإنجاح الثورة طلبوا عونهم ووعدوهم باقامة دولة تترية بشكيرية ، فسار المسلمون في ركاب الثورة حتى كتب لها النصر . غير أنه لما تثبتت دعائم الثورة تنكرت حكومة موسكو ، سنة ١٩١٩ ، موعدها في جمع المسلمين في أمة واحدة ودولة واحدة وأقامت جمهورية بشكيرية

في بلاد لايوجد فيها من البشكيريين إلا ٢٥ ٪ من مجموع السكان ثم إنها اقامت جمهورية تترية . ويطلق الروس اسم جمهورية على جميع مستعمراتهم والبلاد الخاضعة لهم بغية التضليل امام الناس ولأن كثرة هذه الجمهوريات ينفع الروس في المحافل الدولية إذ يكون لكل جمهورية منها صوت مستقل، وبعد أن خلق الروس الجمهورية البشكورية اضطروا إلى خلق لغة بشكرية وضعوا مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تترية قديمة وعلى الرغم من أن هذه اللغة قد خلقت إلا أنها لم تتم وما زالت مخلوقاً ناقصاً ولد في غير أوانه .

ولكي يضعف الروس التتر الذين يمثلون الوجه الإسلامي في روسيا فقد كافحوا لغتهم وثقافتهم وبعد أن كان يوجد عندهم حتى سنة ١٩٣٥ مئتان وثماني جرائد يومية تصدر كلها باللغة التترية وتغطي البلاد من اوكرانيا حتى اقصى الشرق الروسي فقد أخذ هذا العدد يتناقص بفعل الدعاية الروسية وتصديع الجبهة التركية المسلمة فهبط هذا العدد في السنة ذاتها إلى ٧٩ صحيفة وهبط سنة ١٩٣٦ إلى ٤٤ صحيفه وظل يهبط بسرعة حتى لم يبق سنة ١٩٥٦ من كل هذه الصحف إلا ٣٨ صحيفة وحل محل الجرائد الإسلامية التركية ، التي توارت تحت ضربات حقد الشيوعية ومؤامراتها ، جرائد روسية إلحادية تصدر باللغة الروسية وتحمل الفكرة الشيوعية ولست أدري هل يوجد اليوم في كل تركستان جريدة تركية مسلمة أو لايوجد .

وكانت طريقة مكافحة الجرائد التتريه المسلمة طريقة غاشمة إذ حرمت الحكومة على موظفيها وعمالها والنقابيين قراءتهـا أو تداولهـا ولما كانت أكثرية الشعب من هذه الفئات فقد أخذوا يرفضون شراءها حرصاً على بقاء لقمة العيش فأفلست وأغلقت أبوابها .

وبعد أن قضى الروس الشيوعيون على الصحافة التترية اتجهوا نحو المدارس الوطنية فأغلقوهـا بحيل شتى فقطعوا بذلك أوصال المسلمين ثم إنهم تمادوا في هـذا العداء وبالغوا في تفتيت الجبهة الإسلامية في روسيا فاعترفوا سنة ١٩٣٠ لداغستان باحدى عشرة لغة رسمية فكان من نتيجة إيجاد هذه اللغات الكثيرة أن قضوا عليها كلها وأحلوا محلها اللغة الروسية .

وحينما نشبت الثورة استعان الشيوعيون كما أسلفنا ، بالمسلمين أو بالأحرى بما كانوا يسمونهم بالاقطاعيين والبورجوازيين ورجال الدين المسلمين لكي يضمنوا تأيدهم فلما استتب للثورة الأمر أقصوهم سنة ١٩٢٤، عن الحكم ونبذوهم، وفي سنة ١٩١٨ جرد الشيوعيون حملة قتل وإرهاب على المسلمين فأفنوا منهم عدداً كبيراً واستمرت هذه الحملة حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، فلما نشبت الحرب عاد الروس إلى استرضاء المسلمين لكي يستعينوا بهم لدفع الألمان ثم لما انتهت الحرب جازوهم جزاء سنمار وشنوا عليهم حملة إبادة وحشية إذ نقلوا أهل أوكرانيا إلى أواسط روسيا فهلك بعضهم في في الطريق جوعاً وعطشاً وتعباً وهلك آخرون في دار هجرتهم

وأهلك الشيوعيون قسماً كبيراً بعد ذلك بحيث أنه لمـــا سمحت الحكومة المركزية ، بعد موت ستالين ، للبقية الباقية من هؤلاء المشردين بالعودة إلى ديارهم لم يكن بقي منهم واحد على مئة من الذين شردوا وعادوا إلى بـلادهم ليروا أنفسهم مشردين ثانية إذ استولى الشيوعيون على منازلهم وأملاكهم وحرموهم منها ولم يجدوا عملًا يعملونه ليعيشوا فتساقطوا أمام هذه المآسي وانقرضوا. وفي باقي البلاد الروسية لاقى المسلمون من الظلم والهوان والعسف والخسف بما لا يستطيع وصفه إلا من عاناه .

والحملة على الإسلام، في روسيا، تشتد وتخف على قدر حاجة الشيوعيين إلى المسلمين أو استغنائهم عنهم وعلى قدر حاجتهم إلى الدعاية في البلاد الإسلامية ولكن الهدف واحد لا يتغير لأن الشيوعيين مجبرون بموجب عقيدتهم على مكافحة الإسلام مكافحـة دائمة ، وإذا كانوا فيما مضى لا يصرحون بهذه الحقيقة فإنهم منذ عشرين سنة وإلى اليوم يعلنون ذلك صراحة ومن غير مواربة قولاً وكتابة ، وقد كتبت الموسوعة السوفيتية في طبعته ١٩٥٣ بهذا الصدد تقول :

« لما كان الإسلام سلاحاً في أيدي الطبقات المستغلة ووسيلة في أيدي المستعمرين الأجانب للضغط على العمال لاخضاع الشعوب الشرقية فقد لعب هـذا الدين دوراً رجعياً » والزعماء الشيوعيون متفقون الآن على مكافحة الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة شريطة أن تكون مرنة ولبقة ولذا فإننا نرى بأن سياسة الحزب تجـاه

المسلمين كانت في سنوات الثورة الأولى ، سياسة مذبذبة مترددة ولكنها بعد ذلك أصبحت سياسة واضحة صريحة إذ اعتدى الشيوعيون على المساجد فامتهنوها وصادروها ثم عدموا المئات منها والقوا القبض على علماء الدين وقتلوهم رمياً بالرصاص من غير ذنب أو جرم إلا أن يقولوا ربنا الله لا لينين أو ستالين .

وقال زعماء الشيوعية : علينا أن نكافح الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة ولكن يشترط أن يكون كفاحنا مرناً ولبقاً بحيث نسلب المسلمين دينهم من غير أن يشعروا بذلك .

ففي السنوات الأولية للثورة كانت سياسة الحزب تجاه المسلمين سياسة مذبذبة ومترددة وكان عداء الحزب للمسلمين يقوم على ثلاثة أمور هي :

١ : إلغاء الوقف على اعتبار أنه قوة مادية في يد رجال الدين

٢ : إلغاء المحاكم الشرعية لأنها تعطي المسلمين سلطة على حياتهم اليومية وتقوي كيانهم .

٣ : إلغاء المدارس الإسلامية لأن التربية المدرسية هي أساس حياة الإنسان فإذا كانت تربية صالحة قائمة على التقوى والصلاح صعب إفسادها .

وحينما نتحدث عن الأوقاف الإسلامية في روسيا نحب أن نسلم بأنها الحديث عن البلاد كلها لأن أوقاف المسلمين في القرم والقفقاس وآسيا الوسطى ، كانت سنة ١٠١٧ ، عبارة عن ثمانية أعشار الأراضي المزروعة في البلاد المذكورة أو بمعنى آخر أن الأوقاف

كانت الحكومة الحقيقية ، فمصادرة الشيوعيين لمثل هذه المساحات الشاسعة الخصبة التي كانت تـــدر خيرات حسان على المسلمين فيقيمون بها المستشفيات والمتوصفات والمدارس ودور العجزة ويساعدون الفقراء والمحتاجين ويسعفون كل مسلم محتاج ، أو بمعنى آخر أن المسلمين كانوا بأوقافهم في غنى عن كل عون حكومي لا بل كانت الحكومة بحاجة إلى عونهم وحيث أن المال عصب الأعمال ولذا فقد رأى الشيوعيون سلب المسلمين هـــذه القوة فسلبوها منهم وحرموهم من ثمراتها وبعملهم هذا قتلوا كل حركة اسلامية خيرة كانت تقوم في البلاد وأوهنوا القوة الإسلامية وفي سنة ١٩٢٤ طعن الشيوعيون المسلمين في صميم عقيدتهم إذ إنهم منعوهم مما أباحــه لهم دينهم من أمور ثم إنهم انتقلوا من السلبية إلى الإيجابية وأعلنوا عداءهم للاسلام وأخذوا يكافحونه ويقضون على مظاهره ومن ذلك أنه كان سنة ١٩١٢ في الاتحاد السوفيتي ، باستثناء نجارا وخيوه ، ٢٦،٢٧٦ مسجداً يقوم عليها ٤٥٣٣٩ رجل دين بين إمام ومؤذن . وكانت الحكومة القيصرية لا تساعد المسلمين ولكنها لم تكن تتدخل في شؤونهم الدينية تدخلاً مباشراً ولا في إدارة أملاكهم الوقفية بل كانت تقف منهم موقف الحياد لا عليهم ولا لهم وأمـــا الشيوعيون فانهم كانوا مضطرين بموجب تعاليمهم الشيوعية إلى محاربة الإسلام عدوهم الوحيد ، وقد عمدوا إلى ذلك بطرق مختلفة منهـا برامج التعليم والدعاية العلمية وعند الحاجة اتخاذ تدابير ادارية أو بوليسية .

وقد قاد الشيوعيون الحملة ضد الإسلام عن طرق كثيرة منها مدارس الكومسومول وجمعية لا إله ، أي جمعية منكري الإله التي تأسست سنة ١٩٢٥ ، وقد اتسع نطاق هذه الجمعية واكتسحت هذه الحملة البلاد الروسية الإسلامية كلها وصار أتباعها يعرفون باسم (الله سزلر) أو (دين سزلر) أو (خدا سزلر) والكلمات الثلاث تعني جماعة (منكري الله) أو جماعة (لا إله) . ولم تكن هذه الجمعية حتى سنة ١٩٢٧ تضم إلا نحو ١٤٠٠ نسمة أكثرهم من غير المسلمين فارتفع هذا العدد سنة ١٩٢٨ إلى ٤٠٠٠ نسمة ثم أخذ هذا العدد يزداد بسرعة حتى بلغ سنة ١٩٤٢ نحو ٧٠٠٠٠ نسمة وانتشر هذا المذهب الإلحادي في كل البلاد الروسية المسلمة ولست أدري كم عدد أتباعه اليوم .

ويمكن اعتبار كل هؤلاء الملحدين أدوات لنشر الإلحاد وتقوية جمعية منكري الدين التي أصبح لها فروع في كل البلاد الإسلامية الروسية . وقد بدأ الشيوعيون دعايتهم ضد الإسلام بصورة لبقة إذ أخذوا يحملون ، في بداية الأمر ، على المذاهب والعادات التي ليست من الإسلام في شيء ولكنها ألصقت بالمسلمين فنسبت إلى الدين وقد وجدوا تجاوباً عند عامة الشعب الذي يكره هذه العادات ويتألم من وجودها مثل الحفلات التي تقام في الأفراح والتي تقام في المآتم وتكلف مبالغ باهظة وغير ذلك من العادات الوثنية التي ألصقت بالإسلام ، وبعد أن تمكن دعاة الإلحاد من فرض وجودهم على المجتمع أخذوا يحملون على رجال الدين ويصبون

جام غضبهم عليهم متهمين لهم بالجهل والدجل ثم تمادوا في غيهم بقدر ماتسمح لهم به الظروف وبقدر ماتسمح لهم به غفلة المسلمين أنفسهم وتغاضي السلطات عنهم . وعلى أثر ذلك أخـذت السلطات تطارد المسلمين على اعتبارهم أعداء الثورة ثم بعد سنة ١٩٣١ أخـــذت تطاردهم على اعتبارهم جواسيس يعملون لحساب اليابان والمانيا الهتلرية، واغتنمت روسيا فترة الإرهاب هذه ومنعت المسلمين من أداء فريضة الحج وفريضة الزكاة وحملت على فريضة الصيام حملات عنيفة مدبرة وممركزة، وتدرجت إلى أن شنت حملة على المساجد مطالبة باغلاقها فأغلقت الكثير منها وجعلت من بعضها نوادي للسمر ودوراً للسينما وملاهي لاتزال كذلك بعد أن أزالت عنها معالمها الرئيسية ، وكان من نتائج هذه الحملات والإرهاب الذي رافقها أنه لم يبق من الآف المساجد التي كانت موجودة في الاتحاد السوفيتي غير ١٣١٢ مسجداً ولست أدري كم عدد المساجـــد الموجودة الآن وهي ولا شك دون ذلك بكثير .

هذا بعض ماجرى في روسيا السوفييتية وهو مازال جارياً فيها وهذه بعض الأعمال اللاإنسانية التي لجأت اليها الشيوعية للقضاء على الإسلام ولذا فاننا لا نعجب لما رأينا في البلاد الشيوعية الأخرى أو سمعنا عنها لأن مايجري فيها هو جزء ضئيل بالنسبة إلى مايجري في البلاد الشيوعية الأم وهو أيضاً تنفيذ لأوامر موسكو، ولكي نكون منصفين نقول بأن ماقاساه المسلمون في البلاد الشيوعية ومايقاسونه من أنواع العذاب والاضطهاد والذل والفقر والإرهاب

والإعنات إنما هو دون مايقاسيه المسلمون في روسيا بالذات لأن البلاد الشيوعيه أو التي ابتليت بالشيوعية إنما تنفذ أوامر موسكو من غير أن تكون لها وجهة نظر أو أن تكون ناقمة على المسلمين في بلادها ، بينما الذي يجري في روسيا يجري بروح من الحقد والانتقام والغضب وأنه في اليوم الذي تلفظ الشيوعية أنفاسها الأخيرة في روسيا ينتهي كل شيء لأنه لايوجد في العالم شيء اسمه الشيوعية يعتنقه أناس على علم وخبرة ويقين بل يوجد حكومات اتخذت الشيوعية سلاحاً للاستيلاء على الحكم وتسخير الناس في سبيل أفراد قصر بهم حظهم عن الوصول إلى الحـــكم بالطريق المشروع فاغتصبوه بقوة الحديد والنار وهذا لا يدوم ولا بد من أن تنجلي هذه الغمة ويعود الناس إلى صوابهم .



بلاد مجهولة

بالاضافة إلى البلاد التي فرضت عليها موسكو الشيوعية واستعمرتها وهي تعبث بهـا فساداً والتي أسلفنا الحديث عنهـا هناك بلاد أخرى تقاسي من العناء والشقاء الشيء الكثير وهي بولونيا ألمانيا الشرقية استونيا ليتوانيا ليثونيا فنلندا وألبانيا وكلها بلاد استعمرتها روسيا وفرضت عليها سلطتها وسلطانها وجبروتها وسيرتها في ركابهـا باستثناء ألبانيا التي شقت عصا الطاعة بوجه موسكو بعد موت ستالين ، وما ذكرناه عن شقاء بلاد البلقان تقاسي هذه البلدان مثله أو أكثر منه بأيدي الشيوعيين وفي كل هذه البلاد إخوان لنا من المسلمين يسامون سوء العذاب ويمتحنون بدينهم وإيمانهم وأخلاقهم وهم يكافحون جهد المستطاع ولكن بلا جدوى ولعل أسوأ هذه البلاد حالاً هي ألبانيا لأنها بلد إسلامي مئة في المئة وهي من البـــلاد المعروفة بالعزة والكرامة والنجدة وتمسك أهلها بالايمان وقد تولى رئاسة الوزارة العثمانية عـــدد من الألبانيين كانوا مثال الصدق والاخلاص والحزم والعزم وتولى قيادة الجيوش العثمانية

فريق كبير منهم فكانوا مثال البطولة والإخلاص ويقول بعض المؤرخين إن كلمة أرناؤوط التي هي مرادفة لكلمة ألباني هي تحريف جملة «عار أن نعود» ويقولون إن سبب هذه التسمية هو أنه لما استولى العرب عليها تكالبت عليهم الأمم الوثنية المحيطة بهم فتشاور القادة فيما بينهم واقترح بعضهم ترك البلاد والانصراف عنها فقال آخرون : عار أن نعود وثبتوا فسموا أرناؤوط . وقد عرف الشعب الأرناؤوطي بالنجدة والحمية ورباطة الجأش وشدة البأس وعاشت هذه البلاد مدة مستقلة ومدة تابعة للدول المجاورة ، ومنذ سنة ١٩٤٦ ، بعد أن تحررت من نير الاستعمار الطلياني أصبحت جمهورية شعبية ديمقراطية أي مستعمرة شيوعية تأتمر بأمر موسكو مدة ثم إنها تأتمر بأمر بكين بعد ذلك وهي تسير ، منذ جلاء الطليان عنها ، بزعامة الشيوعي المتطرف أنور خوجة .. وهو يمثل أسوأ نظام عرفته الشيوعية فهو ديكتاتور عنيد وشبيه بستالين مع فارق واحد هو أن ستالين كان متسلطاً على بلاد طويلة عريضة بينما بلاد أنور خوجة بلاد صغيرة ، كان عدد نفوسها قبل الشيوعية ، مليوني نسمة فأصبحوا بعدها دون ذلك والسبب في ذلك فرار الألبانيين من جور أنور خوجة ، ويفر الناس بالآلاف من البلاد فمنهم من يقصد فرنسا أو بلجيكا حيث يعيشون باطمئنان ولا يرغبون بالرجوع إلى بلادهم . وإذا كان كل الشيوعيون قد جعلوا من البلاد التي استولوا عليها مزارع

لهم ليستغلوها على هواهم فإن استئثار أنور خوجة لبـــلاده واستئثاره بخيراتها وضبطه الجائر لأمورها كل أولئك لامثيل له في الظلم والجور . ففي ألبانيا :

لا يجوز الكلام   والناس عبيد
ولا يجوز السؤال   أذلاء
ولا تجوز الشكاية   عليهم أن يعملوا وأن يطيعوا
ولا يجوز الطلب   طاعة عمياء
ولا يجوز الرفض   أن يعيشوا كما يفرض عليهم
ولا يجوز إبداء الرأي   الحزب أن يعيشوا
وبالتالي أن يعبدوا أنور خوجة من دون الله .

والبلاد الألبانية مغلقة في وجه السياح ولكن أبوابها مفتوحة لمن يريد أن يفرمنها . وعلى الرغم من القبضة الحديدية التي فرضها أنور خوجة على البلاد وعلى الرغم من مظاهر الالحاد التي يمارسها ويدعو إليها فإن الناس فيها مازالوا متمسكين بدينهم حريصين على أداء فروضهم الدينية وهم لا يفرون من الفقر والفاقة فقط بل إنهم يفرون بدينهم وإيمانهم ، وما زال الألبانيون نموذجاً يحتذى بالصبر على المكاره وبقوة الإيمان .

هذا موجز عن حالة البلاد التي فرضت عليها الشيوعية والتي تقاسي من ويلاتها ما لا يخطر على بال .



الخاتمة

إن ما ذكر في هذا الكتاب من أمـور تتنافى مع مفهوم الانسانية والحرية إنما هو صورة مصغرة وسطحية لما يقاسيه المسلمون في البلاد الشيوعيةأو هو أشبه بالصورةالفوتوغرافية فكما أن الآ لة لا تستطيع أن تنفـذ إلى ما وراء السطوح الظاهرة التي تقع تحت البصر لكي تكشف لنـا عن حقيقـة الصورة وماهيتها فأنا أيضاً لم أستطع فيما كتبت أن أتجـاوز هذا الواقع من الظاهر لأن معرفـة ما وراء السطوح يحتاج إلى بحث ودرس وتنقيب وسؤال ومعاشرة ، وبالتالي بأن يحيا المرء حياة القوم في كبيرها وصغيرها وحرها وبردهـا وبؤسها ونعيمها ، إذا كان يوجد نعيم في البلاد الشيوعية ،لكي يصاب بما يصابون بهويقاسي ما يقاسونه ويتحمل مايتحملونه ويمر بالأحداث التي يمرون بهـا حتى يعرف حقيقة ما لهم فيصورها تصويراً دقيقاً ويشرحهـا شرح خبير عالم لا يغـادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وهذا ما لم يتيسر لناولم نكن

قادرين عليه في بحر الأسابيع القليلة التي قضيناها في تلك البلاد البائسة اليائسة . ولكن مالايدرك كله لا يترك قلّه ، وحيث أن كتابي هذا هو الأول من نوعه فإني أعرض فيه ما سمعته من أقوال وما شاهدته من أحوال وهو القليل القليل من الكثير الكثير ولكنه كالمصباح يضيء الطريق لمن يريد سلوكه ويعطي الفكرة ولو عابرة عما يقاسيه المسلمون في ظل النظام الشيوعي . وإذا كنت أخص المسلمين فذلك بسببين : الأول لأنهم هم أكثر ظلامة من غيرهم ، والثاني لأنهم إخواني وليس من يدافع عنهم ، وأما غيرهم فعندهم من الأفراد والجماعات الكثير ممن يدافع عنهم أو يروي قصتهم ، وأما المسلمون في البلاد الشيوعية شأنهم في غيرها من البلاد ضائعون لا يسأل عنهم أحد ولا يسمع صوتهم نذير .

وإني إذ أبدأ بفتح هذا الباب أرجو من جميع الكتاب والأدباء الذين يزورون هذه البلاد أن ينحوها شيئاً من عطفهم الإنساني وأن يفكرو باخوانهم المعذبين وأن تكون لهم من آلامهم عبرة والحياة كلها عبر .

نعم ، إننا لا نستطيع مهما بلغت فينا القدرة على تصوير الوقائع أن نجعل القارىء يشعر بألم السوط الذي يهوي على ظهر البريء ولا بقسوة الحرمان الذي يقاسيها ابن النعم ولا بـ ل العبودية التي ينحملها الأحرار في البلاد الشيوعية بل لا بـد من أن ينزل السوط على البدن وأن يبتلى المرء بطعم

الحرمان وأن يصاب بالعبودية ليدرك هذه المآسي ، وهـذا ما قاله لي أحـد الشيوعيين عن سـوء حاله إذ قال : إنكم لا تشعرون بما نقاسي لأنكم لاتعانون ما نعاني . فأنتم لم تجوعوا لتدركوا ألم الجوع ولذة الشبع على الوجـه الآثم ، ولم تسلب أموالكم لتقدروا حياة الأمن حق قدرها ، ولم تحرموا الحرية لتعرفوا قيمتها ولامست كرامتكم لتعلموا معنى الكرامة على وجهها فالأشياء تقاس بأضدادها ولا بد لمعرفـة الأشياء على حقيقتها من معرفة أضدادها .

وحاصل القول أن كل ما نستطيع أن نقوله بهذا الصدد هو أن الناس كلهم ، بصورة عامة ، والمسلمون منهم ،بصورة خاصة ، معذبون مضطهدون مظلومون ، في ظل النظـام الشيوعي ، فقد سلبوا الحرية والمال والكرامة وأنهم يعيشون عيشة خير منها عيشة الرقيق في الأزمان الغابرة .

إن ما يقرؤه القارىء في هذا الكتاب إنمـا هو صورة ليس فيها خيال شاعر ولا عاطفة محب عاشق ولا نقمة مغبون حاقد بل هو تصوير لواقع مؤلم وهو جهد المقـل في نصرة هؤلاء المظلومين .

وإذا كنت قمت بواجب الدفـاع عن إخواني المسلمين بأضعف الإيمان وهو القلم فإني أرى باسم الإسلام والانسانية أن تقوم الشعوب والحكومات الاسلامية بواجبها بنطاق أوسع

وفي ميادين أنفع وإني أقترح بهذا الصدد ما يلي :

١ ـ أن تتدخل الحكومات الاسلامية لدى الحكومات الشيوعية ، التي تدعي صداقتهالرفع الضيم والظلم عن المسلمين، ولكي يمكن تبرير هذا التدخل أقترح أن تكتب الحكومات الاسلامية إلىموظفيها الديبلوماسيين أن يوافوها بتقارير مفصلة ومدعمة بالأرقام والوقائع عن حالات معينة حتى لايستطيع الشيوعيون إنكارها لأن أقوى سلاح في أيدي الشيوعيين هو الكذب والإنكار .

٢ ـ أن ترسل الحكومات الاسلامية القوية مندوبين عنها يعيشون في البلاد الشيوعية لدراسة أحوال المسلمين عن كثب وبطرق علمية وعرض هذه الأمور على العالم كلـه في نشرات بلغات كثيرة .

٣ ـ القيام بحملة مركزة في الصحف والمجـلات والكتب والنشرات والخطب والمجتمعات لمطالبة الشيوعيين بكفأذاهم عن المسلمين .

٤ ـ أن يذهب وفد من العلماء بثيابهم العلمية وعمائمهم يطوف البـلاد الشيوعية ويجتمع بالمسلمين فيها ليستمع إلى شكاواهم وليثبت إيمانهم .

٥ ـ القيام بحملة في البلاد العربيةوالاسلامية غيرالشيوعية

لإيضاح هذه الحقائق المؤلمة المخزية التي يرتكبها الشيوعيون بحق الانسانية وبحق المسلمين .

إن المسلمين في خطر وإن أخطر ما هم فيه غفلتهم وإن المؤامرة الكبرى التي يتعرضون لها مؤامرة خطيرة ومنظمة ويتولاها أعداء أشرار من الصواب ألا يستهان بهم وبقدرتهم وإمكاناتهم على الأذى والظلم والإساءة إلى الإنسانية .

* * *

فهرس

الموضوع	الصحيفة
مقدمـــــة	٥
المسلمون في البلاد الشيوعية	١٩
بلغاريا	٢١
بدء الرحلة	٢٧
رومانيـــا	٤٥
المجر	٥٥
تشيكوسلوفاكيا	٦١
يوغوسلافيا	٦٣
الاتحاد السوفييتي	٧٩
بلاد مجهوله	١٠١
الخاتمـــة	١٠٥
فهرس	١١١